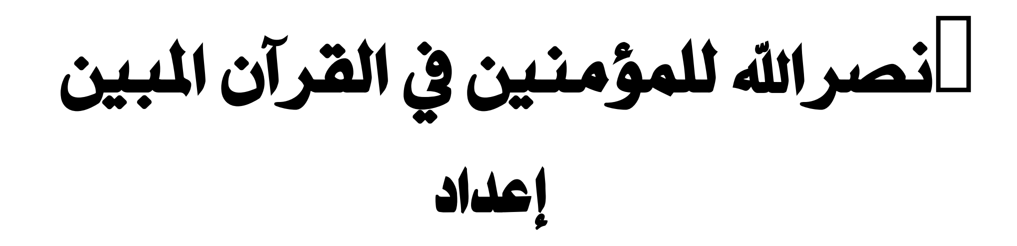


نصر الله للمؤمنين في القرآن المبين

إعداد

د/ عفاف عطية الله المعبدي

الأستاذ المشارك في تخصص التفسير وعلوم القرآن

بجامعة أم القرى

Allah's victory for the believers in the Holy Quran

Prepared by

Dr. AFAF ATTIA ALLAH ALMADBI

Associate Professor of Interpretation and Quranic Sciences, Umm Al-Qura University

مستخلص البحث

يروم هذا البحث إلى استجلاء حقيقة نصر الله للمؤمنين في القرآن المبين ، وبيان غايته وصوره ومقوماته ومعوقاته ، ويهدف كذلك إلى إعطاء صورة حقيقية عن النصر الرباني تكن معياراً للمؤمنين يقيسون عليه معاني نصرهم وهزيمتهم خصوصا في هذا الوقت الذي يزخر بالعديد من التيارات الفكرية المتناقضة التي تتعارض مع الإسلام، فضلاً عن العقائد المستوردة التي لم تدفع المسلمين إلاّ إلى مزيد من الشقاق والنفاق وألحقت بهم الهزيمة تلو الأخرى. وكان من نتائج هذا البحث ما يلي:

- كل خير يأتي للإنسان مادي أو معنوي هو نصر بالمفهوم القرآني .
- يعتبر نصر المبادئ والقيم بالحجة والبرهان من أقوى وأعظم أنواع النصر إذ طريقه الإقناع العقلي لا القوة العسكرية.
- للنصر مقومات معنوية وأخرى مادية ، والمعنوية منها أعظم أثراً وأكثر نفعاً في جلب النصر وتحقيقه .
- من أخطر معوقات النصر الوقوع في شراك الهزيمة النفسية .
- قد يتأخر النصر رغم توفر المقومات وانتفاء المعوقات وذلك لحِكم ربانية يخفى بعضها على الناس .

Abstract

This research aims to clarify the truth of Allah's victory for the believers in the Holy Quran, and to show its purpose, picture, factors and obstacles. It also aims to give a true picture of the divine victory to be a standard for the believers to measure the meanings of their victory and defeat, especially at this time, which is filled with many contradictory intellectual thoughts that conflict with Islam. As well as imported beliefs that benefited Muslims only to more division and hypocrisy, and defeated them once after another. The results of this research included the following:

- Every good that comes to people, whether material or moral, is a victory according the Quranic concept.
- The victory of principles and values with argument and proof is one of the strongest and greatest types of victory, whereas its method is mental persuasion, not military power.
- Victory has moral and other material factors. The moral ones have the greatest impact and more useful in bringing and achieving victory.
- One of the greatest obstacles of the victory is to be trapped in the psychological defeat.
- Victory may be delayed in spite there are factors and the absence of obstacles, due to Allah's wisdoms, some of which are hidden from people.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [آل عمران : ١٢٦] ،والصلاة والسلام على خير من استنصر به ودعاه محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه . أما بعد :فإنه لا يخفى على كل ذي بصيرة ، أن الأمة الإسلامية قد ارتقت سلم المجد والسلطان ، وارتفع ذكرها بين الأمم وتحصلت على النصر لما سلكت طريقه المشروع ووعت معناه ، وأدركت صوره واتخذت له أسبابه . لكنها اليوم تعاني الذل والفشل والهزيمة ، وما ذاك إلا بسبب قلة وعيها بمفهوم النصر وأسباب تحقيقه وصوره التي هي أكثر من مجرد نصر عسكري . وحتى يتسنى للأمة العودة إلى النصر والتمكين والعز فعليها إذن أن تعي حقيقة نصر الله كما جاءت في كتاب الله تعالى .من أجل هذا وذاك فقد استعنت بالله وتوكلت عليه في اختيار موضوع بعنوان :

نصر الله للمؤمنين في القرآن المبين

أهمية البحث وأهدافه :

١ –بيان حقيقة نصر الله للمؤمنين ؛ إذ أنه أعز مطلوب لهم هو رؤية دين الله تعالى ظاهراً منتصراً وكلمته عالية خافقة بين الناس ، وهذا المطلب لا يتحقق بمجرد الأماني والدعاوي ، ولكن ببذل الأسباب المؤدية إليه ، والابتعاد عن العوائق التي تحول دون النصر ، وتصور النصر كما أراده الله تعالى وهذا ما سيبينه البحث بإذن الله .

٢ – الرغبة في حصول الطمأنينة ، وبث الأمل في نفوس المؤمنين اليائسين من النصر ، وأن النصر ممكن متى تحققت مقوماته وانتفت معوقاته ، فلا يأس من روح الله ولا قنوط مع وعده سبحانه :﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر:٥١]

٣ – تقديم الإجابة الشافية عن تسآءل يطرح كثيراً من المؤمنين: لماذا لا ينصرنا الله تعالى مع وعده لنا بذلك ؟! بل هناك من يلقي – والعياذ بالله – باللائمة على الحق عز وجل ويتسآءل عما فعله في جنبه تعالى حتى يلحق به الهزيمة تلو الأخرى ؟!

فكان لابد من هذا البحث؛ لإعادة الأمور إلى نصابها، وتصحيح ما يمكن تصحيحه من فكر الأمة من خلال بيان حقيقة النصر الإلهي كما جاء في كتاب الله ، فيعلموا حينها أن ما أصابهم هو من عند أنفسهم ، وأن الله لا يخلف وعده ولا يغير سنته في نصر عباده إلاّ إن هم غيروا ما بأنفسهم .

٤ –إعطاء صورة حقيقية عن النصر الرباني يكن معياراً للمؤمنين يقيسون عليه معاني نصرهم وهزيمتهم خصوصا في هذا الوقت الذي يزخر بالعديد من التيارات الفكرية المتناقضة التي تتعارض مع الإسلام، فضلاً عن العقائد المستوردة التي لم تدفع المسلمين إلاّ إلى مزيد من الشقاق والنفاق وألحقت بهم الهزيمة تلو الأخرى .

ولما كانت مختلف الأنظمة في العالم الإسلامي تمني الملايين من أتباعها بأحلام عجاف وفي ظل هذه الأوضاع المتردية كان لابد من إظهار وجه الحق..

٥– المشاركة في التفسير الموضوعي بعرض مادة (النصر) الواردة في القرآن الكريم ، والنظر في تفسيرها ، واستخلاص أهم مقومات النصر ومعوقاته وصوره وغاياته .

- **خطة البحث :**

ولقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة وثمانية مباحث وخاتمة .

- **المقدمة :** وفيها بيان بأهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهميته وأهدافه وخطة البحث ، ومنهج البحث وإجراءته .
- **المبحث الأول :** معنى النصر .
- **المبحث الثاني :** الألفاظ المقاربة للنصر والمقابلة له .
- **المبحث الثالث :** غاية النصر .
- **المبحث الرابع :** صور النصر .
- **المبحث الخامس :** مقومات النصر .
- **المبحث السادس :** معوقات النصر .
- **المبحث السابع :** الحكمة من تأخير النصر .
- **الخاتمة :** وفيها ذكر لأهم نتائج البحث التي تم التوصل إليها .
- **الفهارس :** وفيه :فهرس المصادر والمراجع و فهرس الموضوعات .

- **منهج البحث :**

المنهج الاستقرائي : وذلك عند استقراء آيات نصرالله للمؤمنين في القرآن الكريم .

المنهج التحليلي الاستنباطي :وذلك عند تحليل آيات النصر التي تم جمعها بهدف استنباط ما فيها من معالم النصر (غايته وصوره وحكمته وأسبابه ومعوقاته).

- **إجراءات البحث :**

١ – استخرجت الآيات المتعلقة بالنصر على اختلاف صوره ومعانيه ، مستعينة في ذلك بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، ومن ثمّ قمت بتصنيفها بحسب المباحث الموضوعة في الخطة ، هذا مع الحرص على كتابة الآية بالرسم العثماني وبيان رقم الآية واسم السورة ووضعت ذلك في متن البحث.

٢ – استفدت مما كتبه علماء التفسير في القديم والحديث حول الآية ، وقد أنقل كلام أحدهم بنصه ، ولكن في الغالب أقرأ ما كتبوه ثم أصيغه بلفظ من عندي ، وأضع في الهامش (انظر...) المرجع كذا ، وذكرت معلومات المرجع كاملة في فهرس المصادر والمراجع.

٣ – ذكرت بعض الأحاديث وعزوتها لمن أخرجها ، مع بيان الحكم على الحديث أو سنده – إن كان في غير الصحيحين – من أقوال العلماء إن وجد .

٤ – شرحت الكلمات الغريبة.

٥ – استفدت من بعض ما كتب في السيرة النبوية حول غزوات النبي صلى الله عليه وسلم كغزوة بدر وأحد والخندق والأحزاب وحنينوبعد فإني أسأل الله تعالى التوفيق والسداد ، وإن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم . وآخر دعوانا ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [يونس : ١٠]

المبحث الأول معنى النصر

النصر مأخوذ من مادة (**نصر**) ، والنون والصادر والراء أصل صحيح يدل على إتيان خير وإيتائه . يقال : نصر الله المظلوم ينصره نصراً ونصوراً ، ونصر الله المسلمين ينصرهم نصراً ، أي : آتاهم الظفر على عدوهم ، ونصرهم : أعانهم ، ونصرهم :نجاهم وخلصهم ، ونصرهم : أيدهم .قال تعالى :﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر : ١] ، وقال عز شأنه :﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٠] ، وقال سبحانه :﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم : ٤٧] إلى غير ذلك من الآيات التي تحمل معنى النصر بالظفر والإعانة والنجاة والتأييد . والاسم (**النصرة**) أي حسن المعونة والظفر والنجاة والتأييد . ونصرة الله للعبد ظاهرة ، ونصرتنا لله : هو النصرة لعباده أو القيام بحفظ حدوده ، والوفاء بعهوده ، وامتثال أوامره ،واجتناب نواهيه . قال تعالى :﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] ،وقال عز شأنه :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد : ٧] . و (النصير) : بمعنى الناصر ؛ قال تعالى : [الحج : ٧٨](١) ، قال تعالى : (وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا) [النساء : ٤٥]والجمع: (أنصار) ، قال تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾[الصف : ١٤] .أي : ممن ينصره ، وهنا ندب للمؤمنين إلى النصرة ، وقد وضع لهم هذا الاسم وإن كان قد صار عرفاً للأوس والخزرج ، وسماهم به (١) .و(**الاستنصار**) : طلب النصرة ، واستمداد النصر ، و (المستنصر) : السائل للنصرة ، والطالب للعطاء . قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٧٢﴾ [الأنفال : ٧٢] . و (**الانتصار**) : الانتقام ، وفي التنزيل :﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١﴾ [الشورى : ٤١] . وقال عز شأنه :﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠﴾ [القمر : ١٠] . قال الراغب : " وإنما قال (انتصر) ولم يقل (انصر) تنبيهاً أن ما يلحقني يلحقك من حيث أني جئتهم بأمرك ، فإذا نصرتني فقد انتصرت لنفسك " (٢) .و(التناصر) : التعاون على النصر ، قال تعالى :﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥﴾ [الصافات : ٢٥] .مما سبق يظهر أن معاني النصر في اللغة والقرآن واحدة ، وهي تنحصر في ستة معان هي : الإعانة ، والظفر ، والنجاة ، والانتقام من الظالم ، والتأييد ، والطاعة والامتثال . وقد وردت لفظة (النصر) بتصاريفها نحو (١٤٣) مرة في القرآن الكريم (٣) .فالنصر إذن هو : العون وإيتاء الخير وإتيانه ، والوصول إلى ما يشرح الصدور ويطمئن النفس ، ويحقق الاستقرار والهدوء للإنسان ويكون ذلك بدفع الظلم والشر ، والوصول إلى البر والخير ... ويكون أولاً : بأن ينتصر الإنسان على نفسه ، ويتغلب على شهواته ونزواته ، ثم ينتصر على الأعداء ، وذلك بالظهور والتغلب عليهم سواء في ساحات المعارك أو غيرها (١)

المبحث الثاني الألفاظ المقاربة للنصر والمقابلة له

النصر له ألفاظ تقاربه وأخرى تقابله ، وبيانها على النحو التالي :

أولاً : الألفاظ المقاربة للنصر : وهي كثيرة في القرآن الكريم ، وكل لفظ منها قد يحمل معنى من معاني النصر أو أكثر . من هذه الألفاظ ما يلي :

١ – **الفلاح :هو** : البقاء والفوز (١) ، والظفر وإدراك الطلب ، وذلك ضربان : دنيوي وأخروي ، فالدنيوي : الظفر بالسعادات التي تطيب بها حياة الدنيا ، وهي البقاء ، والغنى ، والعز ..... وفلاح أخروي ، وذلك في أربعة أشياء : بقاء بلا فناء ، وغنى بلا فقر ، وعز بلا ذل ، وعلم بلا جهل ، ولذلك لا عيش إلا عيش الآخرة (٢) . وقد ورد لفظ (الفلاح) بتصاريفه بهذا المعنى في عدة مواضع منها : قول تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٢٢﴾ [المجادلة :٢٢] ،وقوله عز شأنه:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ [الأعلى : ١٤] ، وقوله:﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون : ١] ،

وقوله تعالى:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [البقرة : ١٨٩] ، إلى غير ذلك من الآيات التي تحمل معنى الفوز والظفر وحصول الخير في لفظ (الفلاح) متى تحققت أسبابه المذكورة في الآيات من الإيمان والتوبة والتزكية والجهاد .... الخ (١) .

٢ – **الظفر** : هو الفوز بالمطلوب ، يقال ظفر : أي فاز وغلب ، وأظفره الله بعدوه وعليه : مكنه منه وغلبه عليه (٢) . والظفر ورد في القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفتح : ٣١] (٣).

قال ابن كثير – رحمه الله – " هذا امتنان من الله تعالى على عباده المؤمنين حين كف أيدي المشركين عنهم فلم يصل إليهم منهم سوء ، وكف أيدي المؤمنين عن المشركين فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام ، بل صان كلاً من الفريقين ، وأوجد بينهم صلحاً فيه خير للمؤمنين وعافية في الدنيا والآخرة " (٤) .وكان ذلك في صلح الحديبية ، في السنة السادسة ، فأثناء كتابة الصلح أراد ثمانون رجلاً من أهل مكة أخذ معسكر المسلمين غرة ، فأسروا ، وعفا عنهم الرسول ﷺ ، فأطلقهم (٥) .كما خرج على معسكر المسلمين ثلاثون شاباً من قريش أثناء كتابة الصلح فأسرهم المسلمين ، وأطلق سراحهم النبي ﷺ، وحتى إبرام الصلح واختلاط المسلمين بالمشركين كان أربعة من المشركين يقعون بالرسول ﷺ فأخذهم سلمة بن الأكوع إلى الرسول ﷺ فعفا عنهم ، كما عفا عن سبعين من المشركين آخرين أسرهم المسلمين بعد إبرام الصلح ، وقد نزلت في ذلك الآية﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفتح : ٢٤] (١) ؛" أي من بعد ما قدرتم عليهم ، وصاروا تحت ولايتكم بلا عقد ولا عهد ، وهم نحو ثمانين رجلاً " (٢) .

٣ – **الظهور**: هو البروز والعلو، والظهور: الغلبة، والظهور: العون . يقال: ظهر الشيء يظهر ظهوراً: برز وعلا ، وظهر على عدوه : غلبه ، وأظهر فلاناً على عدوه : أعانه عليه . و(الظهير) : المعين للواحد والجمع . و(الظاهر) : اسم من أسماء الله الحسنى ، معناه : الذي ظهر فوق كل شيء وعلا عليه (٣) .وقد وردت كلمة (الظهور) مقاربة للنصر في عدة مواضع في القرآن الكريم منها :قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الصف :١٤] ، أي : قاهرين لهم مستولين عليهم ، أو غالبين بالحجة والبرهان (٤).وقوله عز شأنه ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [غافر : ٢٩] ؛ أي : غالبين عالين ، قد أنعم الله عليكم بالملك والكلمة النافذة والجاه العريض (١) .وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الممتحنة : ٩] ، أي : عاونوا على إخراجكم (٢) ، إلى غير ذلك من الآيات التي تحمل معنى النصر ، كالغلبة والعون والعلو(٣)

٤ – **الفتح** :الفتح : إزالة المغلق ، وأصل الفتح إزالة الإغلاق حسياً ومعنوياً ، وفتح الله قلبه للأمر : شرح صدره له ، وفتح الله عليه : هداه وأرشده ، وفتح بين الخصمين : قضى بينهما .. ، وفتح البلد : غلب عليه وتملكه ، وقوله تعالى:﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ ﴾ [الفتح :١] ، أي مكناك من فتح ما كان مغلقاً في وجه دعوتك وهو فتح مكة ، واستفتح : طلب الفتح والنصر (٤) .وقد وردت لفظة الفتح مقاربة للنصر في أكثر من موضع من ذلك : قوله تعالى:﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ ﴾ [النصر : ١] ، وقوله تعالى :﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [السجدة : ٢٨] ، وقوله :﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ ﴾ [الفتح :١] . قال الراغب : " معنى الفتح فيها يحتمل النصرة والظفر والحكم وما يفتح الله تعالى من المعارف " (٥) ،ثم قال : " قيل : عني فتح مكة ، وقيل : بل عني ما فُتح على النبي من العلوم والهدايات التي هي ذريعة إلى الثواب والمقامات المحمودة التي صارت سبباً لغفران الذنوب " (١) .قال أبو حيان – رحمه الله – : " أضاف عز وجل الفتح إلى نفسه إشعاراً بأنه من عند الله لا بكثرة عدد ولا عدة ، وأكده بالمصدر ، ووصفه بأنه مبين مظهر لما تضمنه من النصر والتأييد ، والظاهر أن هذا الفتح فتح مكة " (٢) .

٥ – التمكين :هو المنزلة الرفيعة والظفر والقدرة على الأمر . يقال : مكن فلان عند الناس مكانة : عظم وصار ذا منزلة رفيعة عندهم ، وتمكن من الأمر : قدر عليه أو ظفر به ، وأمكنه من الشيء : أقدره عليه وجعله في قبضته ، والمكانة عند العرب : هي المنزلة عند الملك (٣) .وقد وردت كملة التمكين مقاربة للنصر في أكثر من موضع منها : قوله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج : ٤١] . أي مكناهم إياها ، وجعلناهم المتسلطين عليها ، من

غير منازع ينازعهم ولا معارض (٤) .ويقول الله تعالى :﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٥٥ ﴾ [النور : ٥٥] ، أي : يكن دينهم مهيمناً على الأرض . ثابتاً مقرراً بحيث يستمرون على العمل بأحكامه ويرجعون إليه في كل ما يأتون وما يذرون (٥)ويقول عز شأنه : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ۝٦ ﴾ [القصص : ٥ – ٦] . أي : نوقع لهم التمكين في الأرض خاصة أرض مصر والشام ، بالظفر بأعدائهم وتأييدهم بكليم الله وبغيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام (١) . إلى غير ذلك من الآيات التي جاءت في هذا المعنى (٢) .

٦ – **الغلبة** : الغلبة : القهر ، والمغلب : المغلوب مراراً ، وتغلب على بلد كذا : استولى عليه ، يقال غلبه : قهره ... ، وغلب على الشيء : أخذ منه قهراً ، وغلب على أمره : ضعف ، والذين غلبوا على أمرهم : هم الرؤساء المطاعون . وغالب على أمره : أي لا يقهره شيء ، وهو قادر على تنفيذ كل ما يريد (٣) .وقد وردت لفظة الغلبة مقاربة للنصر في مواضع كثيرة :منها قوله تعالى:﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] ،، وقوله تعالى: ﴿ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٧٤ ﴾ [النساء : ٧٤] ،وقوله تعالى: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ۝٢١ ﴾ [المجادلة : ٢١] ،وهذا وعد لمن آمن به عز وجل ، وبرسله ، واتبع ما جاء به المرسلون ، فصار من حزب الله المفلحين ، أن لهم الفتح والنصر والغلبة في الدنيا والآخرة ، وهذا وعد لا يخلف ، ولا يغير ، فإنه من الصادق القوي العزيز ، الذي لا يعجزه شيء يريده (١) .

٧ – **الوَلاية** :بفتح الواو : النصرة والحفظ ، والمَوْلى ، الناصر ، والحليف ، وهو من انضم إليك فعز بعزك وامتنع بمنعتك (٢) . وقد وردت لفظة (وَلاية) بمعنى النصر في أكثر من موضع في القرآن : (٣) .قوله تعالى (إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [آل عمران : ١٢٢] ، وليهما : أي ناصرهما وحافظهما " (٤) . وقال تعالى (بَلِ اللّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ) (آل عمران : ١٥٠) مولاكم : " أي متولي نصركم وحفظكم إن أطعتموه " (٥)وقال عز شأنه : على لسان موسى عليه السلام : (.... أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ) [الأعراف : ١٥٥] ، ولينا : " أي لا ناصر ولا حافظ إلا أنت " (٦) إلى غير ذلك من الآيات التي جاءت فيها الولاية بمعنى النصرة والحفظ .

ثانياً : الألفاظ المقابلة للنصر :وهي كثيرة في القرآن الكريم وتعطي معان معاكسة لمعنى النصر ، من هذه الألفاظ ما يلي :

١ – **الهزيمة** :(هزم) الهاء والزاي والميم أصل صحيح يدل على غمز وكسر ، ومنه الهزيمة في الحرب يقال هزيمة يهزمه هزماً فانهزم : غمزه بيده فصارت فيه حفرة ، وهزم العدو والجيش هزماً : كسرهم وفلهم ، والاسم الهزيمة والهزيمى ، وأصل الهزم : كسر شيء وثني بعضه على بعض ، وهزم العدو ويهزمه : كسر شوكته ، وتغلب عليه وقهره ، وجعله مهزوماً (١) .ولقد وردت لفظة الهزيمة في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم هي (٢) : قوله تعالى (فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ ...) [البقرة : ٢٥١] ، أي : أنزل الله عليهم النصر فهزموهم بأمر الله (٣)وقوله تعالى (جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ) [ص : ١١] ، هو وعد من الله لنبيه محمد ﷺ وهو بمكة يؤمئذ أنه سيهزم جنداً من المشركين ، فجاء تأويلها يوم بدر فغلبهم (٤) .وهو قوله تعالى (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ(٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) [القمر : ٤٣ – ٤٥] ، أي ليس كفاركم يا أهل مكة ، أويا معشر العرب خير من كفار من تقدمكم من الأمم الذين أهلكوا بسبب كفرهم فيكف تطمعون في السلامة من العذاب وأنتم شر منهم ، ثم أضرب سبحانه عن ذلك وانتقل إلى تبكيتهم بوجه آخر هو أشد من التبكيت بالوجه الأول فقال : (أَمْ لَكُم بَرَاءةٌ فِي الزُّبُرِ) والزبر : هي الكتب المنزلة على الأنبياء ، والمعني : إنكار أن تكون لهم برآءة من عذاب الله في شيء من كتب الأنبياء ، ثم أضرب عن هذا التبكيت وانتقل إلى التبكيت لهم بوجه آخر فقال (أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ) أي جماعة لا تطاق لكثرة عددنا وقوتنا ، أو أمرنا مجتمع لا تغلب .. فرد الله سبحانه عليهم بقوله (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ) أي جمع كفار مكة ، أو كفار العرب على العموم .. (وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) وقد هزمهم الله يوم بدر وولوا الأدبار (١) .

٢ – **التثبيط** : الحبس والشغل ، يقال : ثبطه عن الشيء تثبيطاً إذا شغله عنه ، ثبطت الرجل تثبيطاً : حبسته وأبطأته ، وهو التعويق والشغل عن المراد .قال أبو إسحاق : التثبيط ردك الإنسان عن الشيء يفعله ، وهو نوع إعاقة وشغل (٢) . وقد وردت هذه الكلمة في آية واحدة :(٣) هي قوله تعالى : (وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ) [التوبة : ٤٦] . في هذه الآية يبين الله عز وجل حقيقة المتخلفين عن غزوة تبوك ، ويخبر أنهم لو قصدوا الخروج للجهاد مع رسول الله لأعدوا له عدته من الزاد والراحلة وغيرهما ، لكن كره الله خروجهم ، فثبطهم : أي كسلهم وأشغلهم وكفهم عن الخروج بقول بعضهم البعض : أقعدوا مع القاعدين (٤) .

٣ – **الفشل** : فشل : أي تراخي وكسل وجبن وضعف ، وفشل عمله : أخفق ، وفشل عن الأمر : هم به ثم نكل عنه (١) . وقد وردت كلمة (الفشل) في أربعة مواضع في القرآن الكريم هي : (٢) قوله تعالى : (إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [آل عمران : ١٢٢] . ومعنى تفشلا: أي تجبنا وتضعفا وتتخلفا (٣) . والمقصود بالآية : بنو سلمة من الخزرج ، وبنو حارثة من الأوس لما أراد أن يجبنا ويضعفا عن مناصرة النبي ﷺ يوم أحد ، إتباعاً متهماً لعبد بن أبي الذي امتنع عن مناصرة الرسول ﷺ . لكن عصمهم فلم ينصرفوا فذكرهم الله نعمته (٤) . وقوله تعالى : (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ) [آل عمران : ١٥٢]. ومعنى قوله : (حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ) : أي جبنتم وضعفتم (٥) . والمراد : أن الله تعالى يعاتب المؤمنين الذين وقع لهم النصر يوم أحد في بداية الأمر ، ثم لما عصوا أمر الرسول وتنازعوا الغنائم . وجبنوا وضعفوا أمامها ، انقلب نصرهم إلى هزيمة وفشل (٦) . وقوله تعالى : (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ ...) [الأنفال : ٤٣] ، أي لضعفتم وجبنتم عن ملاقاة المشركين يوم بدر (٧) . قال مجاهد رحمه الله : " أراه الله إياهم في منامه قليلاً ، فأخبر النبي أصحابه بذلك ، وكان تثبيتاً لهم " (١) . وقوله تعالى : (وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال : ٤٦] . معنى (فتفشلوا) : أي تجبنوا في الحرب . وفي الآية : الأمر بطاعة الله ورسوله فيما يرشدهم إليه ، والنهي على التنازع وهو اختلاف الرأي أو المناعة بالحجة فإن ذلك سبب للفشل ، وذهب قوتهم ونصرهم (٢) .

٤ – **الخسران** : يقال : خسر خسراناً : ضد ربح ، أي : ضلّ وهلك ونقص فهو خاسر ، والتخسير : الإهلاك والتضييع (٣) .وقد وردت كلمة الخسران في أكثر من موضع في القرآن (٤) من ذلك :قوله تعالى : (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ) [المائدة : ٢١] ، أي : تنصرفوا خائبين هلكاً (٥) .ويقول سبحانه على لسان صالح عليه السلام : (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ) [هود : ٦٣] ، أي : غير أن تجعلوني خاسراً بإبطال أعمالي وتعريضي لسخط الله ، أو غير تخسيري إياكم حيث إنكم كلما أزددتم تكذيباً لي ازدادت خسارتكم : أي هلاككم وخيبتكم وضياعكم . (٦) .

٥ – **الكبت والخيبة :الكبت** : الكاف والباء والتاء كلمة واحدة ، وهي من الإذلال والصرف عن الشيء ، ويقال : كبت الله العدو يكبته إذا صرفه وأذله .وكبته يكبته كبتاً : صرعه فأنكبت ، وقيل : كبت الشيء : صرعه لوجهه ، وكبته الله لوجهه ، أي صرعه فلم يظفر ، وكبته أخزاه ، وكبته : صرفه ، وكبته : كسره ، وكبت فلاناً : غافله وأذله وأخزاه ، وكبت الله العدو : رده بغيظه (١) .**والخيبة** : الحرمان والخسران ، وخاب يخيب : لم يظفر بما طلب وانقطع أمله ، والخائب : من فشل سعيه ولم ينجح (٢) وقد ورد لفظ الكبت والخيبة في قوله تعالى (لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ) [آل عمران : ١٢٧] .(٣)والمعنى : أي نصر الله لعباده المؤمنين لا يعدو أن يكون قطعاً لطرف من الكفار ، أو ينقلبوا بغيظهم لم ينالوا خيراً كما أرجعهم يوم الخندق ، بعد ما كانوا قد أتوا على حرد قادرين ، أرجعهم الله بغيظهم خائبين (٤) .

٦ – **الخذلان** : يقال خذل فلاناً : تترك عونه ونصرته فهو خاذل ، وذاك مخذول أي مقهور ، والخذل : الكثير الخذلان ، و الخاذل : المهزوم (٥) .وقد وردت كلمة الخذل في ثلاثة مواضع من القرآن هي (٦) قوله تعالى : (إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [آل عمران : ١٦٠] .ومعنى (يخذلكم) أي : يترك عونكم ونصركم بأن يكلكم إلى أنفسكم (١) . وقوله تعالى :(وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً) [الفرقان : ٢٩] ، أي : تاركه ، ومتبرؤ منه عند البلاء والاستغاثة (٢) .وقوله تعالى : (لاَّ تَجْعَل مَعَ اللّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً) [الإسراء : ٢٢] ، ومعنى (مخذولاً) : أي قد أسلمك ربك لمن بغاك سوءاً ، فإذا أسلمك ربك الذي هو ناصر أوليائه ، لم يكن لك من دونه ولي ينصرك ويدفع عنك (٣) .

٧ – **الدبر** : يقال : دبر دبوراً : ذهب وولّى فهو دابر ، ... ولّى مدبراً : فر متقهقراً ، ولّوا الأدبار : جعلوا عدوهم وراءهم وأعطوهم ظهورهم دلالة على الهزيمة ، يقطع دابر الكافرين : يستأصل شأفتهم ويقطع آخر من بقي منهم [٤] .وردت كلمة الدبر في آيات كثيرة منها : [٥] قوله تعالى (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الأنعام : ٤٥] ، وقوله تعالى (وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) [الأنفال : ٧] ، وقوله تعالى (وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) [الأنفال : ١٦] ، وقوله تعالى (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ) [الحجر : ٦٦] ، وقوله تعالى (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) [القمر : ٤٥] .فقوله تعالى (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الأنعام : ٤٥]، : أي استؤصل القوم الذين عتوا على ربهم ، وكذبوا رسله ، وخالفوا أمره . عن آخرهم ، فلم يترك منهم احد إلا أهلك بغتة إذ جاءهم عذاب الله .قوله تعالى (وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أي الثناء الكامل والشكر التام (لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) على إنعامه على رسله وأهل طاعته بإظهار حججهم على من خالفهم من أهل الكفر ، وتحقيق عداتهم ما وعدوهم على كفرهم بالله وتكذيبهم رسله من نقم الله وعاجل عذابه [١] .

المبحث الثالث غاية النصر

غاية النصر في الإسلام هي : إعلاء كلمة الله في الأرض والانتصار له سبحانه بإقامة منهجه والحكم بشريعته .يقول الله عز وجل : (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) [الحج : ٤٠ – ٤١] ويقول سبحانه وتعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [محمد : ٧] .في هذه الآيات يرشد الحق تبارك وتعالى المؤمنين **إلى أربع قضايا أساسية في النصر** :

الأولى : أن الغاية من جهاد الجماعة المؤمنة : هي نصرة الله عز وجل ، أخذاً من قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [محمد : ٧] ، وقوله تعالى : (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ) [الحج : ٤٠] ، حيث أضيف النصر إلى الله تعالى مما يعني ضرورة القصد من الجهاد نصر الله عز وجل .

الثانية : أن الغاية من النصر والتمكين للمؤمنين : هي إقامة منهج الله في الأرض وإعلاء كلمته ، بدل على هذا قوله تعالى (الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ) [الحج : ٤١] ، فقد جعل الله سبحانه الغاية من تمكين المؤمنين هي إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ."وأشار بهذه الأصول إلى ما عداها ، الصلاة رأس العبادة البدنية التي تزكي النفس وتحسن علاقة االمخلوق بالخالق والإنسان بأخيه الإنسان ، والزكاة رأس العبادات المالية التي تقيم المجتمع على أساس من التعاون والتكافل ، والأمر المعروف والنهي عن المنكر أساس كل خير ديني أو دنيوي ، وهما دعامتنا كل إصلاح ، ودرء كل شر وفساد في الأرض " [١] .مما يعني أن الغاية من التمكين للمؤمنين في الأرض هي إقامة منهج الله في الأرض ، سواء في الشعائر التعبدية أو الشرائع القانونية فضلاً عن الأصول إيمانية . وبالتحليل النهائي تكون الغاية هي تحقيق العبودية لله في الأرض [٢] ، وهذا ما أشار إليه القرآن في قوله تعالى (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [النور : ٥٥]

الثالثة : أن التزام المؤمنين بالأمرين السابقين شرط لتحقيق وعد الله بالنصر لهم ، وهذا مأخوذ من الشرط الصحيح في قوله تعالى (إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) حيث رتب جواب الشرط (يَنصُرْكُمْ) على فعل الشرط (تَنصُرُوا اللَّهَ) .ومأخوذ أيضاً من قوله:(وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) [الحج : ٤٠] ، حيث رتب الله تعالى تحقيق وعده بنصر المؤمنين على نصرتهم له سبحانه ، ووعد الله بالنصر لمن ينصره يقابله وعيد بالهزيمة لمن لم ينصره ، ومن ثم لا يكون نصر للمؤمنين ما لم ينصروا الله بإقامة منهجه في الأرض ، والحكم بشريعته .وهذا ما بينه كذلك رسول الله ﷺ ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : (يا معشر المهاجرين خمس إن ابتليتم بهن ونزلن فيكم أعوذ بالله أن تدركوهن ، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعملوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا الزكاة إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدوهم من غيرهم وأخذوا بعض ما كان في أيديهم ، وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله إلا ألقى الله بأسهم بينهم ...) [١] .وإذا كانت هذه هي عاقبة عدم تحكيم شرع الله فهي أشد من الهزيمة ، بل ما يكون من هزيمة وفشل وتفرق بين المسلمين أمام عدوهم إنما هو بعض منها .ولقد أبصر الفاروق رضي الله عنه هذا المعنى ، وأرشد إلى هذه العبرة فقال : (**إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله**) [٢]



وهذا ما يشهد به واقع المسلمين على مدار التاريخ فإنهم لما أقاموا شرع الله في الأرض كانت لهم السيادة والعزة ، واستطاعوا قيادة البشرية إلى طريق الهداية .لكن لما عزفوا عن شرع الله وهجروه في كثير من جوانب حياتهم تركهم الله وأوكلهم إلى أنفسهم ، فأصابتهم الهزيمة والمذلة حتى استذلهم أجبن شعوب الأرض .إن قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب هذا يعد القاعدة الثابتة التي تبين وجهة النصر من الهزيمة والتي تفسر حال المسلمين – على مر التاريخ – وسبب ما أصابهم ويصيبهم من نصر وهزيمة ، وهي قنديل أمل للمسلمين اليوم وكل يوم في إحراز النصر ، وذلك من خلال عودتهم للحكم بشريعة الله .

الرابع : " إن النصر ليس نهاية المعركة بين الكفر والإيمان ، وبين الحق والضلال ، فللنصر تكاليفه في ذات النفس وفي واقع الحياة . وتكاليفه هي : عدم الزهو به والبطر ، وعدم التراخي بعده والتهاون . وكثير من النفوس يثبت على المحنة والبلاء . ولكن القليل هو الذي يثبت على النصر والنعماء . وصلاح القلوب وثباتها على الحق بعد النصر منزلة أخرى وراء منزلة النصر ، ولعل هذا هو ما أشار إليه التعبير القرآني " في قوله تعالى : (يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [محمد : ٧] ، حيث ذكر الثبات بعد النصر [٢] ومما سبق يظهر أن غاية النصر سامية ، وهدفه عالي ، إنه إعلاء كلمة الله ، ونشر دينه في الأرض . فليست إذن غاية النصر في الإسلام احتلال الأوطان ، وإذلال الشعوب واستعمارها كما هو الحال عند الشرق والغرب من أهل الكفر والضلال . وليست الغاية كذلك انتصاراً لوطن أو قوم أو عشيرة أو عصبية .

المبحث الرابع صور النصر

يتصور بعض الناس أن للنصر صورة واحدة وهي الصورة المألوفة للنصر العسكري ، ويغيب عنهم صور أخرى للنصر لا تقل أهمية عن النصر العسكري في تحقيق غاية النصر والتي هي : إعلاء كلمة الله في الأرض والانتصار له سبحانه بإقامة شريعة ، وظهور دينه .فصور النصر شتى ، إبراهيم عليه السلام وهو يلقى في النار فلا يرجع عن عقيدته ولا عن الدعوة لها فما من شك أنه كان في قمة النصر وهو يلقى في النار ، كما انه انتصر مرة أخرى وهو ينجو من النار .. وكم من شهيد ما كان يملك أن ينصر عقيدته ودعوته ولو عاش ألف عام كما نصرها باستشهاده ، وما كان يملك أن يودع القلوب من المعاني الكبيرة ، ويحفز الألوف إلى الأعمال الكبيرة بخطبة مثل خطبته الأخيرة التي كتبها بدمه ، فتبقى حافزاً محركاً للأبناء والأحفاد . وربما كانت حافزاً محركاً لخطى التاريخ كله مدى أجيال ... [١] .فصور النصر كثيرة إذن ولا يمكن حصرها ، لأن قوة الله سبحانه وتعالى صور إمداده لا تعد ولا تحصى . قال تعالى :(وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ..) [المدّثر : ٣١] ، ويقول سبحانه : (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً) [الفتح : ٤] . كما أن كل صورة من صور النصر الرباني تتناسب مع طبيعة المعركة التي يخوضها أهل الإيمان مع أهل الكفر ، فإذا كان الصراع في معترك الفكر فإن النصر يكون بإقامة الحجة على فساد عقيدة أهل الكفر مع إثبات سلامة عقيدة أهل الإيمان والتوحيد ، وإذا كان الصراع في ساحة القتال فإن النصر يكون بتحطيم قوات العدو ، وهكذا كل معركة تقتضي نوع نصر خاص يناسب طبيعتها . وهذا النصر أو ذاك يعني إعزاز كلمة الله في الأرض وإعزاز من يجاهد في سبيلها . وسأحاول هنا إبراز بعض صور النصر الرباني للمؤمنين في معاركهم ضد أهل الكفر مستمدة ذلك من القرآن الكريم **فمن صور النصر ما يلي :**

الصورة الأولى : النصر الفكري بقوة الحجة والبرهان :تاريخ الصراع الفكري والعقدي بين الإيمان والكفر تاريخ طويل يمتد بجذوره امتداد تاريخ الإنسانية منذ آدم عليه السلام . وحلقات هذا التاريخ تبرز بوضوح في دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام أقوامهم للإيمان والدخول في عبادة الله واجتناب الطاغوت .ولقد سعى الرسل عليهم الصلاة والسلام لذلك بكل ما يملكون من وسائل الحجة والبرهان ، ودخلوا معهم في جدل فكري لدحض حججهم ، وبيان سفه عقائدهم ، ولا قناعهم بعقيدة الإيمان والتوحيد .ومن البدهي القول بأن عقيدة الكفر لم ولن تقوى على الوقوف أمام عقيدة الإيمان والتوحيد في أي مواجهة فكرية بينهما ، لأن عقيدة الكفر تخالف العقل والمنطق والفطرة والحس والمشاهدة ، بينما عقيدة الإيمان تساير كل ذلك .وقد سجل الله سبحانه في كتابه العزيز **نماذج لهذا النصر** ، اذكر منها **انتصار إبراهيم عليه السلام على قومه** بإثبات فساد عقيدتهم وإبطال حججهم الواهية وإقامة الحجج والبراهين على سلامة عقيدة الإيمان والتوحيد .يقول الله تبارك وتعالى :(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ (٧٤) كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) لَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٨٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ



أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣)) [الأنعام : ٧٤ – ٨٣].في الآيات الأولى حاجَّ إبراهيم عليه السلام أباه ، ولم تأخذه في الله لومة لائم ، ونعى عليه وعلى قومه عبادة غير الله سبحانه بأسلوب استفهامي إنكاري : (أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً)ثم أكد على ضلال أبيه وقومه (إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ) أي في ضلال ظاهر لا يرتاب فيه ذو عقل . ثم تلا ذلك جملة اعتراضية من الله سبحانه لإظهار عنايته بإبراهيم عليه السلام وإطلاعه على غيب ملكوت السموات والأرض مما لا يتسنى لغيره أن يقف عليه إلا بعناية إلهية (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) .أي: وكما كشف الله سبحانه لإبراهيم عليه السلام قبح الشرك كشف له أيضاً ملكوت السموات والأرض وأطلعه على ما فيها من أسرار .وقيل المراد بملكوتها : الربوبية والإلهية ، أي نريه ذلك ونوفقه لمعرفته بطريق الاستدلال التي سلكها وعلل الله سبحانه ذلك الكشف له ليكون من الموقنين عياناً كما أيقن بياناً .(فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ) أي ستره بظلمته والضمير عائد على إبراهيم عليه السلام ، وهو استئناف لبيان ما كان من إبراهيم عليه في تدرجه بالاستدلال على الخالق [١] .وتدرج إبراهيم عليه السلام في محاججة قومه ، فبعد أن بدأ بذكر معبوداتهم الأرضية أعقب ذلك محاججتهم في معبوداتهم العلوية ، وبدأ بالكواكب (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ) .وقوله : (هَذَا رَبِّي) إما باعتبار مضمر أي هذا ربي على زعمكم ، أو وأنتم تقولون هذا ربي ، أو هو للاستهزاء بهم والإنكار عليهم على معنى : أهذا ربي ، والعرب تكتفي عن حرف الاستفهام بنعمة الصوت .قال النسفي رحمه الله : (والصحيح أن هذا قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل ، فيحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه ، لأنه أدعى للحق ، وأنجى من الشغب ، ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة " [٢] .وقد استدل إبراهيم عليه السلام على خطأ تأليههم لها بالفطرة السليمة والمشاهدة الصريحة التي تدل على النتيجة الصريحة ، فغروب الكوكب عنه هو تغيير له من حال إلى حال ، وهو دليل الحدوث أي أنه محدث ومخلوق ، وليس محدثاً وخالقاً مما يجعله في النظر السليم بمعزل عن استحقاق الربوبية قطعاً .ثم تدرج إبراهيم عليه السلام بعد ذلك (فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً) أي مبتدئاً في الطلوع (قَالَ هَذَا رَبِّي) على الأسلوب السابق (فلَمَّا أَفَلَ) كما أفل النجم (قالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي) أي إلى الحق (لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ) نبه قومه على أن من اتخذ القمر إلهاً فهو ضال ، وجعل ذلك التنبيه لهم في سياق الحديث مع نفسه ليشعروا منه بالإخلاص فيما يقول ، ولإظهار تجرده ونزاهته في البحث ، وهو أقوى في أقامة الحجة .ثم استطرد كذلك في التنبيه على خطأ اتخاذه الشمس إلها (فلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً) أي مبتدئة في الطلوع (هَذَا رَبِّي) مجاراة لهم في اعتقادهم (هَذَا أَكْبَرُ) تأكيد لما رآه عليه السلام من إظهار النصفه ، مع إشارة خفية إلى فساد دينهم من جهة أخرى ببيان أن الأكبر أحق بالربوبية من الأصغر (فلَمَّا أَفَلَتْ) أي غابت كما غاب الكوكب والقمر (قَالَ) مخاطباً للكل ، صادعاً بالحق بين أظهرهم (ياقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) أي من الذي تشركونه من الأجرام المحدثة المتغيرة من حالة إلى أخرى المسخرة لمحدثها (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ) أي للذي دلت هذه المحدثات – والتي منها الكوكب والقمر والشمس بالاستدلال والاستنتاج – على أنه منشؤها ومحدثها (حَنِيفاً) أي مائلاً عن الأديان الباطلة والعقائد الزائفة كلها (وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) بالله شيئاً من خلقه .ثم حكى القرآن ما كان من قومه في محاججتهم له فيما صدع من أمر التوحيد (وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ) ثم ينتقل الكلام لإبراهيم وهو يرد عليهم حجتهم (قالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ) فينكر عليهم إبراهيم عليه السلام اجتراءهم على محاججته مع قصورهم عن تلك الرتبة ، وعزة المطلب ، وقوة الخصم . فإنه ، عليه السلام مهدياً من جهة الله تعالى ، ومؤيداً من عنده مما يوجب استحالة محاجته عليه السلام .**والمعنى** : أتجادلونني في شأنه تعالى ووحدانيته والحال أنه تعالى هداني إلى الحق بعد ما سلكت طريقتكم بالفرض والتقدير ، وتبين بطلانها تبيناً تاماً كما شاهدتموه .وقوله تعالى (وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً) جواب عما خوفوه به عليه السلام أثناء المحاجة من إصابة مكروه من جهة أصنامهم .**والمعنى** : لا أخاف ما تشركون به سبحانه من معبوداتكم في وقت من الأوقات إلا في وقت مشيئته تعالى من إصابة مكروه بي ، (وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ) فلا يصيب عبداً من ضر أو نفع إلا بعلمه (أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ) فيتميزون بين القادر والعاجز .(وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ) من معبودات لا تملك النفع أو الضر (وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللهِ) الذي بيده النفع والضر والذي بيده ملكوت السموات والأرض (مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ) بإشراكه (عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً) ، حجة ، إذ الإشراك لا يصح أن يكون عليه حجة .**والمعني** : وما لكم تتكرون عليّ الأمن في موضع الأمن ، ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف (أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ) أي فريقي الموحدين والمشركين (أَحَقُّ بِالأَمْنِ) من العذاب (إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) من أحق بذلك .ومعنى قوله (الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ



) : أي بشرك (أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) ، قيل : هو جواب إبراهيم عليه السلام على سؤاله (أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ) ، وقيل :هو من كلام الله سبحانه يبين فيه الجواب الحق في ذلك .لقد تدرج إبراهيم عليه السلام في محججة قومه بأسلوب فطري بعيد عن الغموض والتعقيد ، واعتمد على التفكر والتدبر فيما شاهده لاستنتاج الحقيقة الصريحة الدالة على خطأ ربوبية معبودات قومه ، ولم يحكم على خطأ تلك المعبودات إلا بعد أن أخضعها للنظر والاستدلال ، وأعطى المقدمات السليمة التي يستنتج منها هو وكل ذي عقل وفطرة سليمة الحكم الصحيح فيما ادعوه من ربوبية تلك المعبودات .كل ذلك يبين قوة حجة إبراهيم عليه السلام ، وقوة دلائله وبراهينه مع بساطتها ، ويبين مخالفة عقائد القوم للعقل والفطرة والمنطق ، بل ويكشف عن خرافية تلك المعتقدات .ولقد بين الله تعالى في ختام الآية أن الحجة التي رزقها إبراهيم عليه السلام هي من توفيقه له فقال (وتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ) .(تِلْكَ): إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم عليه السلام على قومه ، وما في اسم الإشارة من البعد لتفخيم شأن المشار إليه . والإشعار بعلو طبقته وسمو منزلته في الفضل ، وأضاف نون العظمة في قوله (حُجَّتُنَا) للتعظيم من شأن الحجة المشار إليها .**ومعنى** : (نرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء) ، أي : رتبا عظيمة عالية ، ومعنى قوله (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) أي : حكيم في كل ما فعل من رفع وخفض ، وعليم بحال من يرفعه [١] .من خلال العرض السابق لمعنى الآيات تبين مدى توفيق الله سبحانه لإبراهيم عليه السلام في إقامة الحجة على قومه بالعقل والفكر والمنطق السليم حتى أثبت خطأ ما يزعمونه من معبودات ، ودحض ما يثيرونه من شبهات وأثبت لهم عقيدة التوحيد . وإذا كانت النتيجة التي صدع بها في وجوههم جميعاً هي فساد عقيدتهم ، وصلاح إيمانه وعقيدته فإن ذلك يمثل في الحقيقة ظهوراً ونصراً له ولعقيدته ، وهزيمة لهم ولعقيدتهم الضالة .إن كل ما سبق من التوفيق في الحجة هو نوع نصر لإبراهيم على قومه أمده بها إرادة تأييد نبيه وإظهار دينه [٢].فهذه إحدى صور النصر الفكري تمثلت في انتصار إبراهيم عليه السلام على قومه بالحجة والبرهان حيث أثبت فساد عقيدتهم وآلهتهم وسلامة عقيدة التوحيد . ولم يجدوا ما يردون به على إبراهيم عليه السلام أو يثبت صحة دعوى عبادتهم مما أصابهم بالنكسة والهزيمة في معتقدهم .والأمثلة على هذا النوع من النصر كثيرة ، كقصة الغلام والراهب مع الملك والساحر الواردة في صحيح مسلم [١] .وقد اكتفيت بقصة إبراهيم عليه السلام لكفايتها في بيان المراد ، إذ الغاية هي التمثيل لهذا النوع من النصر وليس الحصر .

الصورة الثانية : النصر بإنجاء المؤمنين من كيد الأعداء :هذه صورة أخرى حقيقية للنصر يبطل الله بها كيد الأعداء، ويفشل خططهم ومؤمراتهم التي تهدف للنيل من المسلمين ، فالله سبحانه توكل بالدفاع عن المؤمنين (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) [الحج : ٣٨] .

ومن أمثلة هذا النوع من النصر :

١ – قوله سبحانه وتعالى (وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ) [الأنبياء : ٧٦ – ٧٧] في هذه الآيات يحكي لنا الله تعالى عن مناجاة نوح له فيقول (وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ) وهي صريحة في طلب النصر من الله سبحانه ، كما صرحت بذلك آية (٢٦) من سورة المؤمنون (قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ) وكما في آية (١٠) من سورة القمر (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ) .ولقد استجاب الله سبحانه لدعاء نوح (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) أي دعاءه ، وفصّل نوع النصر الذي أيده به (فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ) أي : المؤمنين من ولده وقومه (مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) من الطوفان، وتكذيب أهل الطغيان (وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) أي : منعناه من أذاهم [١] (وَنَصَرْنَاهُ) صريح بأن تنجية الله سبحانه نوحاً ومن معه من المؤمنين هو نصر من الله لهم ، مما يثبت أن هذا نوع نصر يؤيد الله به عباده المؤمنين .

٢ – ومما يؤكد هذه الصورة من النصر ما جاء في شأن نصرة موسى وهارون عليهما السلام في سورة الصافات قال تعالى : (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١١٤) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (١١٥) وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ) [١١٤ – ١١٦]

ذكرت الآيات ما أنعم الله به على موسى وهارون عليهما السلام من إيتائهما النبوة ، وتنجيتهما ومن آمن معهما من بني إسرائيل من الكرب العظيم ، وهو ملكة آل فرعون وتسليطهم عليهم بألوان البطش والتعذيب . ثم صرحت بأن هذا من تمام نصر الله لهما (وَنَصَرْنَاهُمْ) أي موسى وهارون وقومهما على عدوهم (فَكَانُوا) بسبب ذلك (هُمُ الْغَالِبِينَ) غلبة لا غاية وراءها بعد أن كان قومهما في أسرهم وقسرهم مقهورين تحت أيديهم يسومونهم سوء العذاب .من ذلك يتضح أن تنجية الله للمؤمنين من كيد الأعداء هو نوع نصر يؤيد الله به عباده المؤمنين .والآيات كثيرة التي تبين نصر الله لكثير من أنبيائه بهذا النوع من النصر [٢] .

الصورة الثالثة : النصر بإنزال المهلكات الكونية على أعداء المؤمنين :هذه صورة أخرى للنصر يؤيد الله بها دينه ورسله وعباده المؤمنين ، وينتقم بها من أعدائهم الكافرين ، يسخر فيها الحق تبارك وتعالى القوى الكونية لتهلك الكفار وتنزل بهم الخراب والدمار .والله بيده الخلق

والأمر ، والكون كله مربوب له سبحانه ، يجري فيه حكمه ، وينفذ فيه أمره (إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [الأعراف : ٤٥] .والخسف والزلازل والبراكين والفيضانات والرياح والأعاصير كلها من المهلكات التي سخرها الله سبحانه على الكافرين إهلاكاً لهم ونصرة لعباده المؤمنين .ولكن لا يتحقق ذلك للمؤمنين إلا بعد أن يستنفذوا ما في وسعهم وطاقتهم من الجهد والجهاد ، متوكلين على الله سبحانه ، وإلا فلا يحدث ذلك للقاعدين أو المنافقين .**وأمثلة هذا النوع من النصر كثيرة في كتاب الله منها :**

١- النصر لهود عليه السلام بإنزال الصيحة والريح الصرصر على قومه:

أ – الصيحة :دعا هود عليه السلام قومه عاداً للإيمان فلم يؤمنوا وأنكروا البعث والنشور ، وأصروا على كفرهم حتى أيس منهم عليه السلام فدعا عليهم (قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (٤٠) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاء فَبُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [المؤمنون : ٣٩ – ٤١] .ودعاء هود عليه السلام صريح في طلب النصر من الله على قومه الذين كذبوه لينتقم له منهم على تكذيبهم له (قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ) . ولقد استجاب الله لدعائه فأجابه بقوله : (قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ) وفي هذا تطمين من الله لنبيه هوداً بأنهم عما قليل سيندمون على تكذيبهم له ، وإصرارهم على الكفر ثم جاءت الإجابة الفعلية من الله لدعاء نبيه بالنصر (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ) حيث أخذ الله قومه بالصيحة لينصره عليهم .وأخبر الله سبحانه أن هذا الانتقام والإهلاك إنما هو (بِالْحَقِّ) أي بالعدل ، وبين ما وقع بهم من أثر الصيحة أصبحوا (غثاء) ، والغثاء هو : ما يحمله السيل من بالي الشجر والحشيش والقصب ونحو ذلك على ظاهر الماء [١] .**والمعنى :** صيرهم هلكى فيبسوا كما يبس الغثاء [٢] .

ب – الريح الصرصر :قال تعالى : (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦)سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ) [الحاقة : ١–٨] ذكر الله سبحانه في هذه الآيات عذاباً آخر سخره على قوم عاد ، إنها الريح الصرصر (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) أي : باردة الهبوب ، وقيل : باردة عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة ، وقيل : قوية شديدة الهبوب ، لها صوت أبلغ من صوت الرعد القاصف [٣] .وقد استمرت الريح تعصف بهم (سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً) أي : بتتابع ودون انقطاع [٤] .ثم بين الله سبحانه حالهم من شدة ما وقع بهم من الهلاك والدمار في تلك الأيام فقال : (فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) .وهنا شبه الله حالهم بعد وقوع العذاب بهم بأصول النخل الساقطة البالية [٥] ، وهو منظر يفصح عن الدمار والهلاك الشديد الذي أصابهم .ثم عقب الله تبارك وتعالى بما يفيد استئصالهم بالعذاب المتقدم (فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ) [الحاقة : ٨] ، استفهام إنكاري معناه : لن ترى منهم أحداً أو بقية .

٢ – النصر لمحمد ﷺ بالريح والحجارة :لقد حصل النصر بالريح لنبينا محمد ﷺ فقد قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً) [الأحزاب : ٩] .فلما تعاقد الأحزاب في وقعة الخندق على استئصال الرسول ﷺ ومن آمن معه ، وشددوا حصارهم على المدينة ، وبلغت القلوب الحناجر عند المؤمنين ، أرسل الله على تلك الأحزاب ريحاً عظيمة وهي ريح الصبا ، فزعزعت مراكزهم ، وقوضت خيامهم ، وأزعجتهم ، وضربهم الله بالرعب فانصرفوا بغيظهم ، وهذا من نصر الله لرسله والمؤمنين [١] . قال تعالى : (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً(٢٥) وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً) [الأحزاب : ٢٥ – ٢٦] . ولقد أكد النبي ﷺ نصرته بالريح فقال : **(نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور)** [٢] . قال ابن حجر : (الصبا ، يقال لها : القبول ، لأنها تقابل باب الكعبة ، إذ مهبها من مشرق الشمس ، وضدها الدبور ، وهي التي أهلكت بها قوم عاد ، ومن لطيف المناسبة : كون القبول نصرت أهل القبول ، وكون الدبور أهلكت أهل الأدبار ، وأن الدبور أشد من الصبا ، لأنه لم يخرج منها إلا قدر يسير ومع ذلك استأصلهم الله ، ولما علم الله رأفة نبيه بقومه رجاء أن يسلموا ، سلط عليهم الصبا ، فكانت سبب رحيلهم عن المسلمين لما أصابهم بسببها من الشدة ، ومع ذلك فلم تهلك منهم أحداً ولم تستأصلهم " [١] .كما نصر النبي ﷺ بالحجارة ، حيث كانت جنداً من جنود الله التي نصر بها نبيه .ففي يوم بدر رمى النبي ﷺ على المشركين الحجارة ، وحثا في وجوههم التراب [٢]قال عز سبحانه : (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [الأنفال : ١٧] . فقوله تعالى : (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ) أي : ببدر بقوتكم (وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ) بنصره إياكم ، (وَمَا رَمَيْتَ) يا محمد أعين القوم (إِذْ رَمَيْتَ) الحصى ، لأن كفاً من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر (وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى) بإيصال ذلك إليهم ، فعل ذلك ليقهر الكافرين (وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء) أي : عطاءً (حَسَناً) وهو الغنيمة (



[٣] .هذه من الصور التي نصر الله بها نبيه يوم بدر ، وقد أرجع الله عز وجل فيها النصر له ، وهذا تأكيد لقوله تعالى : (وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ) [آل عمران : ١٢٦] .وما حصل في غزوة بدر حصل في حنين فقد أخذ رسول الله حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال : (**انهزموا ورب محمد**) ، قال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه – راوي الحديث– : " فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى ، قال : فو الله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى مدَّهم كليلاً [١] . وأمرهم مدبراً " [٢] .قال النووي : " فيه معجزتان ظاهرن لرسول الله ﷺ إحداهما فعليه والأخرى خبرية ، فإنه ﷺ أخبر بهزيمتهم ، ورماهم بالحصيات فولوا مدبرين " [٣] .هذه بعض الأمثلة المؤكدة لنصر الله لعباده من خلال إنزال المهلكات الكونية من ريح وغيرها على أعدائهم وهذه إحدى صور النصر .

الصورة الرابعة : النصر العسكري :هذا النصر هو المألوف والمعروف لدى الناس وهو الذي كتب الله سبحانه به الغلبة للمؤمنين على الكافرين بتوريثهم أرضهم وأموالهم .ويكون هذا النوع من النصر عند إلتقاء أهل الإيمان مع أهل الكفر في ميادين القتال ، كما كان الحال يوم بدر إذ شهد ذلك اليوم قتال المسلمين للمشركين ، وما أمد الله به المؤمنين من النصر والتأييد والتمكين .يقول سبحانه وتعالى : (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [آل عمران : ١٢٣] يخبر الله تعالى عن نصر المؤمنين يوم بدر على قريش رغم قلة المؤمنين في العدد والعتاد عن المشركين ، يدل على تلك القلة قوله (وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ)وهي حال من مفعول (نصركم). وأذلة : جمع ذليل ، وإنما جمع جمع قلة للإيذان باتصافهم حينئذ بوصفي القلة والذلة إعلاماً بضفعهم يومها ، لقلة عدد المؤمنين وعتادهم [٤] .وبالرغم من ذلك فقد نصر الله المؤمنين أعز نصر حتى إنهم قتلوا من المشركين سبعين ، وأسروا سبعين وعاد المشركون إلى مكة وهم يلبسون ثوب الخزي والعار والهزيمة ، ولقد حصل هذا النصر المؤزر بفضل تأييد الله للمسلمين حيث أمدهم بالملائكة لتقاتل معهم قال سبحانه وتعالى : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [الأنفال : ٩ – ١٠] .وكما في قوله تعالى : (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) مَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) [آل عمران : ١٢٤] . فقد أمد الله سبحانه المسلمين يوم بدر ابتداء بألف من الملائكة ، ثم أردفهم بألفين فأصبحوا ثلاثة آلاف ، ثم أردفهم بألفين آخرين فأصبحوا خمسة آلاف ملك [١] .

والحكمة من تدرج الإمداد وتتابعه هي :أشعار المؤمنين بمتابعة الله سبحانه لهم في المعركة بين اللحظة والأخرى مما يطمئنهم بأنهم في رعاية الله وكنفه .وفيه إشعار بأن قوة الله ومدده ليس لها حدود ؛ ولهذا وذاك وقعت السكينة والطمأنينة في قلوب المؤمنين ، وازداد حماسهم في المعركة .ومما يؤكد مشاركة الملائكة للمؤمنين في القتال يوم بدر قوله تعالى : (وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ) [الأنفال : ٥٠] . وقوله تعالى : (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) [الأنفال : ١٢] .ولقد كان بإمكان الله عز وجل أن ينصر عباده دون أن يبعث ملائكة ، لكن الله تعالى أمدهم بالملائكة رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجرها الله في عباده ، فالنصر للأكثر عدداً وقوة ، وهذا ما حصل للمؤمنين لمّا شاركتهم الملائكة [١] .كما أشار القرآن الكريم إلى الغاية من شهود الملائكة للمعركة وقتالهم فيها بقوله سبحانه وتعالى : (وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [الأنفال : ١٠] . أي أن الغاية من الإمداد بالملائكة هي : تبشير المؤمنين بالنصر وتثبيت قلوبهم في المعركة .وذيلت الآية بقوله : (وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) لإعلام المسلمين بأن النصر الذي أحرزوه يوم بدر هو من الله عز وجل ، واستعمل القرآن أسلوب الحصر والقصر ليقصر النصر عليه وحده سبحانه . والحكمة في ذكر هذا بعد ذكر الإمداد بالملائكة هي دفع ما قد يطرأ من توهم بأن الذين نصروهم هم الملائكة .ولقد جاءت السنة مؤكدة لما كان عليه المسلمون من القوة مقابل ما كان عليه المشركون ومبينة لما منّ الله به على نبيه من النصر والتأييد في هذه المعركة مقابل ما أوقع بالمشركين من الهزيمة .فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : " لما كان يوم بدر نظر رسول الله إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً ، فأستقبل نبي الله القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه " اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصبة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض " . فما زال يهتف بربه مّداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبوبكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ، ثم ألتزمه من ورائه وقال : يا نبي الله كفاك مناشدتكم ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ) [الأنفال : ٩] . فأمده الله بالملائكة " . قال أبو زميل (هو سماك الحنفي) [١] : فحدثني ابن عباس قال : " بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر

رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة السوط فوقه وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم . فنظر إلى المشرك أمامه ، فخر مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فأخضر ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله فقال : **(صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة)** فقتلوا سبعين وأسروا سبعين " (٢) .هذا مثال للنصر العسكري الذي يمنحه الحق تبارك وتعالى لعباده المؤمنين في مواطن القتال وساحات الجهاد متى أخلصوا نياتهم ، وألتجوا لربهم ونصروه .و هذا النصر وذاك يتناسب مع طبيعة هذه المعركة أو تلك ، فالله سبحانه وتعالى ينصر عباده في كل معركة وكل موطن بما يجعل الفوز لهم وحسن العاقبة وبما يؤكد أن النصر حليفهم في كل معركة لهم مع الأعداء

المبحث الخامس مقومات النصر

لقد وعد الله عز وجل عباده المؤمنين بالنصر في أكثر من آية في كتابه الكريم ، حتى غدا تحقيق النصر لهم حقيقة ثابتة ، ووعداً قاطعاً من الله تعالى ، لا يتخلف ولا يتبدل . فقال عز شأنه : (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) [غافر : ٥١] ، وامتلأ الآية بالمؤكدات دليل على أن النصر ثابت لا يتخلف للمؤمنين (١) .وفي آية آخرى ينزل الله نصر المؤمنين منزلة الحق الواجب على نفسه فيقول سبحانه : (وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) [الروم :٤٧] .قال ابن كثير : " أي : هو حق أوجبه على نفسه الكريمة تكرماً وتفضلاً " (٢) .بل إن الله تعالى جعل نصر المؤمنين سنة ثابتة لا تتبدل ولا تتغير فقال سبحانه : (وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً(٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً) [الفتح : ٢٢– ٢٣] ،قال الشوكاني: " أي طريقة الله وعادته التي قد مضت في الأمم من نصر أوليائه على أعدائه " (٣) ، فما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل إلا نصر الله الإيمان على الكفر ، فرفع الحق ووضع الباطل .فكل ما سبق يؤكد حقيقة ثبوت وعد الله المؤمنين بالنصر ، لكن الله تعالى جعل هذا الوعد مرهوناً بتحقيق موجباته ، واتخاذ أسبابه جرياً على سنة الله التي تقضي بتوقف النتائج على المقدمات ، وارتباط المسببات بالأسباب ، ولكن تظل النتائج والعواقب متعلقة بالمشيئة الإلهية وحدها أولاً وآخراً ؛ قال تعالى : (إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [آل عمران : ١٦٠]

- فمن مقومات النصر وأسبابه :

١ – **الإيمان بالله تعالى :**_وهذا الإيمان المطلوب إنما هو الإيمان الذي يتضافر فيه قول اللسان مع تصديق الجنان وعمل الجوارح والأركان .(١) هذا الإيمان هو السبيل إلى النصر والتمكين ، فهو ليس كلمة تقال ، أو عقيدة تنطوي عليها القلوب بل الإيمان كلمة ذات تكاليف ، وأمانة ضخمة ذات أعباء .فإن حققنا الإيمان بمفهومه الشامل كان النصر حليفنا . قال تعالى : (وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) [الروم :٤٧] . وقال عز شأنه في بيان أن الإيمان من أسباب النصر : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [النور : ٥٥] ؛ فهذا وعد من الله تعالى بالنصر للمؤمنين بجعلهم أئمة للناس ، تصلح بهم أحوال العباد والبلاد ، وبإبدال خوفهم آمناً ، وبظهور هذا الدين لمن حقق منهم الإيمان وعمل الصالحات . (٢) .وقد أنفذ الله تعالى وعده هذا للرسول ﷺ وللمؤمنين معه لما التزموا الإيمان الحق ، وكانوا أقوم الناس بأوامر الله ودينه . وقد أكد سبحانه ذلك في آية أخرى فقال : (وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [الأنفال : ٢٦] .قال ابن كثير : " فالصحابة رضي الله عنهم لما كانوا أقوم الناس بعد النبي ﷺ بأوامر الله عز وجل ، وأطوعهم لله كان نصرهم بحسبهم ، وأظهروا كلمة الله في المشارق والمغارب ، وأيدهم تأييداً عظيماً ، وتحكموا في سائر العباد والبلاد ، ولما قصر الناس بعدهم في بعض الأوامر نقص ظهورهم بحسبهم " (١) .وهكذا نجد أن الإيمان هو دائماً السلاح الأول الذي كان يعتمد عليه أصحاب محمد ﷺ في كل معاركهم ضد الباطل وأهله . وكان ذلك ميزتهم على خصومهم ، وهو الذي دفعهم إلى خوض أصلب المعارك في استبسال وثبات وتضحية . حتى نصرهم الله وهم قلة يوم بدر .فانتصارهم إذن في معركة بدر وغيرها لم يكن لكثرة عدد أو قوة عتاد – على أهمية ذلك – لكنه كان انتصاراً للإيمان وبالإيمان .

إن هذه الفئة المؤمنة – رغم ضعفها وقلة عدد أفردها أمام قوة المشركين وكثرتهم – هي التي تقرر مصير المعركة ، لأنها تستمد قوتها من الله وحده ، وتستمد يقينها كله من الثقة به عز وجل ، بعد أن تجدد عهدها معه ، وتطلب النصر منه وحده ، وهي تواجه الهول العظيم ، وهذا ما أكده عبد الله بن رواحة يوم موتة ، يوم وقف في الناس خطيباً فقال : " يا قوم ، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون ، الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين : إما ظهور وإما



شهادة ، قالوا : صدق : والله ابن رواحة " [٣] .وهكذا ندرك مرة أخرى أن سلاح الإيمان هو أقوى سلاح يتحقق به النصر ، ويستحيل به المؤمن إلى أسد هصور ، لا يخشى المواجهة أو الدوائر . لكنه يطلب أحد أمرين : نصر أو شهادة . وفي موطن آخر من القرآن الكريم يؤكد الله تعالى أن نصره لن يكون إلا لمن آمن به ، فقال عز شأنه : (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) [الحج : ٣٨] ؛ فقد ضمن الله تعالى للمؤمنين أنه يدافع عنهم ، ومن يدافع الله عنه فهو ممنوع حقاً من عدوه ، ظاهر حتماً عليه . [١] .وإذا كان الأمر كذلك فإن على المسلمين اليوم وهم يعانون الضعف والهوان أن يتسلحوا بأعظم سلاح لتحقيق النصر على الباطل وأهله ، إنه سلاح الإيمان الذي لا يملكه أحدُ غيرهم ، ومتى حققوه سيكون النصر حليفهم كما وعدهم ربهم ، والله لا يخلف الميعاد . ولابدّ أن يأخذ المسلمون بالحسبان أن المعركة بينهم وبين أعدائهم هي قبل كل شيء معركة هذه العقيدة ، وحتى حين يريد أعداؤهم أن يغلبوهم على الأرض ، فإنهم يحاولون أولاً أن يغلبوهم على العقيدة ، لأنهم يعلمون بالتجارب الطويلة أنهم لا يبلغون أهدافهم ، والمؤمنون متمسكون بإيمانهم ، ملتزمون بمنهجهم ، مدركون لكيد أعدائهم .

٢ – **الإخلاص لله تعالى والتوكل عليه واليقين بوعده** :وهذه كلها من لوازم الإيمان ، وأسباب يتحقق بها النصر ، فالمخلص المبتغي بعمله وجه الله مؤيد من الله تعالى مكفي به ، قال تعالى : (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) [الزمر : ٣٦] . وعلى قدر إخلاص العبد لربه عز وجل ، وتجرده من الأهواء والمطامع والشهوات ، يكن مدد الله له وعونه وكفايته وولايته . قال تعالى : (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً) [الفتح : ١٨] . وقوله : (فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ) أي : من الصدق والوفاء [١] ، وقيل من الإيمان [٢] .وإذا كان للإخلاص أهميته في تحقيق النصر ، فإن للتوكل على الله واليقين بوعده أهمية أيضاً في تحقيق النصر ؛ ومن حسن التوكل على الله ، إدراك المسلم أن النصر هو من عند الله تعالى وحده . قال تعالى (وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) [آل عمران : ١٢٦] . وقال عز شأنه : (إِن يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [آل عمران : ١٦٠] .وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [محمد : ٧] . فالتوكل على الله ، والإيمان بأنه وحده بيده النصر ، واليقين بذلك كله سبيل للنصر بإذن الله .ولقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم كثيراً من المواقف التي تتأكد فيها حقيقة أن من أسباب النصر اليقين والتوكل على الله تعالى في حصول النصر . ففي غزوة بدر لما علم النبي ﷺ والمؤمنون أن النصر بيد الله توجهوا إليه وحده يستنصرونه فكان أن أمدهم الله بعونه ، ويسر لهم نصره ، وأعطاهم فضله رغم قلة عددهم وضعفهم [٣] .قال تعالى : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ) [الأنفال : ٩] ،ويقول عز شأنه : (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [آل عمران : ١٢٣].وفي غزوة الأحزاب يخبر الله تعالى عن قوة يقين عباده بنصر الله واعتمادهم عليه في ذلك مما حقق لهم النصر والفلاح . قال تعالى : (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً) [الأحزاب : ٢٢] . قال القنوجي رحمه الله : " الإشارة (بهذا) إلى ما رأوه من الجيوش ، أو إلى الخَطْب الذي نزل ، والبلاء الذي دهم ، وهذا القول منهم قالوه استبشاراً بحصول ما وعدهم الله ورسوله من مجئ هذه الجنود ، وأن يتعقب مجيئهم إليهم نزول النصر والظفر من عند الله " [١] ؛ وهذا ما حصل فقد قال تعالى بعد ذلك : (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً) [الأحزاب : ٢٥] . قوله : (كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) : أي بما أرسله من الريح والجنود من الملائكة [٢] .والأمثلة غير ما ذكر كثيرة في إثبات أن النصر بيد الله وحده .وهذه الحقيقة تقتضي أيضاً أن لا يتعلق المسلم بالأسباب بالمادية وحدها في حصول النصر ، لأنها لا تغني شيئاً ما لم يكن يقين واعتماد على الله تعالى .واذكر هنا موقف المسلمين في غزوة حنين حينما ولوا أمرهم للأسباب وقالوا (**لن نغلب اليوم من قلة**) [٣] ، فنزل قول الله تعالى (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ)[التوبة : ٢٥] . لقد كانت هذه الغزوة درساً عظيماً في الإيمان ، وممارسة عملية لفهم قانون الأسباب والمسببات ، حيث هزم المسلمون في بادئ الأمر ، ورجعوا لا يلوى أحدهم على أحد ، ولم يثبت إلا فئة قليلة جداً مع رسول الله ﷺ ثم مكن الله لهم النصر . [١] حينها فقط علم المسلمون أن هذه الكثرة لا تغني من الله شيئاً . وأن الأسباب المادية وحدها لا تكفي لتحقيق النصر . بل لابد من الاعتماد أولاً وآخراً على الله . قال القاسمي : " دلت الآية على أنه يجب الانقطاع إلى الله تعالى والاتكال عليه " [٢] . وفي كل ما سبق درس وعبرة لنا اليوم ، فإن الذين يتسولون النصر من كل طريق إلا طريق الله تعالى ، والذين يشككون في نصرة المسلمين لعدم امتلاكهم أسلحة متطورة ، أو لهيمنة عدوهم عليهم هم مخطئون لأن النصر من عند الله وحده لا من غيره (وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ) [آل عمران : ١٢٦] ، وقد وعد به عباده المؤمنين

المتوكلين عليه ، الموقنين بوعده فقال : (وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) [الروم : ٤٧] .وكم نحن اليوم بحاجة إلى اليقين بوعد الله ، والتوكل عليه ليكون النصر لنا .

٣ – العمل الصالح : إن من أهم أسباب النصر تقديم العمل الصالح ، يقول الله عز شأنه : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [النور : ٥٥] ، ويقول الله عز وجل : (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) [الحج :٤٠ – ٤١] . فالله تعالى وعد وعداً موثوقاً محققاً لا يتخلف أن ينصر من ينصره ، والذين ينصرون الله هم الذين يعبدون الله حق عبادته ، فيقيمون الصلاة طائعين خاضعين مستسلمين ، وهم الذين يؤدون حق المال ، فينتصرون على شح النفس ، ويتطهرون من آفة البخل ، وهم الذين يأمرون بكل خير وصلاح وينهون عن كل شر وفساد .هؤلاء هم الذين ينصرون الله ، إذ ينصرون نهجه الذي أراده للناس في الحياة ، معتزين بالله وحده ، وهؤلاء هم الذين يعدهم الله النصر على وجه التحقيق واليقين ." فهو النصر القائم إذن على أسبابه ومقتضياته ، المشروط بتكاليفه وأعبائه ... والأمر بعد ذلك لله ، يصرفه كيف يشاء ، فيبدل الهزيمة نصراً ، والنصر هزيمة عندما تختل القوائم أو تهمل التكاليف (وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) ".ويقول الله تعالى في موضع آخر : (إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [محمد : ٧] . **ونصرتنا لله هي :** بالقيام بحفظ حدود الله ، والوفاء بعهوده وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، ونصرة عباده[٢] . إن فعل ذلك المسلمون كان وعد الله لهم بالنصر محققاً وبالثبات واقعاً . وبهذا نجد أن النصر لا يكفي له إيمان قلبي بل لابد أن يترجم الإيمان إلى حقيقة واقعة ملموسة من خلال ظهور أثر ذلك الإيمان في سلوك العبد الظاهر؛ فيقدم من الأعمال الصالحة الظاهرة ما يتحقق به إيمانه ، وما يمكنه من الظفر والنصر . ومن هنا ندرك قيمة العمل الصالح ، إنه الثمرة الطيبة للإيمان الحق ، الإيمان الذي هو يقين قلبي ، وحركة عمل وبناء وتعمير إنه ليس إنكماشاً وسلبية وإنزواء في مكنونات الضمير ، وليس مجرد نوايا طيبة ولا تتمثل في حركة ، وهذه طبيعة الإسلام البارزة التي تجعل منه قوة كبرى في صميم الحياة [٢] .فعلى المسلمين إذن وهم في هذه الأوضاع السيئة أن يعملوا على تغيير أنفسهم إلى الأفضل ليتحقق لهم نصر الله ووعده ، قال تعالى : (إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ)) [الرعد : ١١] .وأول طريق للتغيير طريق الطاعة والعمل الصالح ، فإن العباد إذا غيروا ما بأنفسهم من المعصية فانتقلوا إلى الطاعة لله ، غير ذلك عليهم ما هم فيه من الشقاء والذل والهوان إلى السعادة والعزة والنصر .أما إن تولوا فقد قال الله تعالى : (وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) [محمد : ٣٨] ؛ أي : إن تتولوا عن طاعته واتباع شرعه ، يأتي بآخرين غيركم لا يكونوا أمثالكم ولكن يكونوا سامعين مطيعين له ولأوامره [٣] . فالنصر بنا أو بغيرنا .

٤ – تقوى الله تعالى : [١]أحد أهم الأسباب المحققة لنصرة الله وتأييده وتسديده للفئة المؤمنة ، قال تعالى : (وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [البقرة : ١٩٤] . **ومعية الله هنا :** هي معية التأييد والنصرة ، وهي لا تكون إلا لأنبياء الله وأوليائه [٢] ، وهي تقتضي الحفظ والإعانة كما قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : (لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى) [طه : ٤٦] . وبالتقوى كذلك يحصل الفتح من الله ، والتوسعة في الخير ، والتيسير في الأمر قال تعالى : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) [الأعراف : ٩٦] . والمعنى : " لو أن أهل القرى المهلكة آمنوا بالله ورسله واتقوا الكفر والمعاصي لأوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب ، مكان ما أصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها من الأرض " [٣] .ويدل على هذا المعنى أيضاً قوله عز شأنه : (وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً) [الجن : ١٦] . ويقول الله عز وجل مؤكداً أن النجاة والنصر يكونان للمتقين : (وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) [فصلت : ١٨] ؛ أي : نجيناهم من العذاب بسبب إيمانهم واستمرارهم على التقوى ، والمراد بها تقوى الله عز وجل عن عمل عاد وثمود [٤] .وهكذا يظهر لنا دور التقوى في حصول النصر وأهميتها ، وإذا كان الأمر كذلك فحري بنا أن نذكر بعض صفات المتقين كما أخبرنا الله تعالى عنها في كتابه .

- **من صفات المتقين :**

١ – الصدق في الإيمان والقول والعمل ، قال تعالى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) [البقرة : ١٧٧] .

٢ – التعظيم لشعائر الله عز وجل : قال تعالى : (ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ) [الحج : ٣٢] .

٣ – العدل ، قال تعالى : (وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [المائدة : ٨] . وفي الآية تعليم وإرشاد إلى وجوب العدل مع الكفار ، الذين هم أعداء الله ، فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذي هم أولياؤه وأحباؤه !؟ .

٤ – العفو والصفح ، قال تعالى : (وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) [البقرة : ٢٣٧] . وقال تعالى في وصف المتقين : (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [آل عمران : ١٣٤] ؛ فالإحسان وصف من أوصاف المتقين ، ولم يعطفه على ما سبقه من الصفات بل صاغه بهذه الصيغة ، تمييزاً له بكونه محبوباً عند الله تعالى (١) .

٥ – المسارعة في التوبة ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ) [الأعراف : ٢٠١] .

هذه بعض صفات المتقين التي متى تغلغلت في النفوس المؤمنة ستكون الأمة جديرة حينها بنصر الله وتوفيقه .

٦ – الصبر : مما لا ريب فيه أن طريق الجهاد محفوف بالمكاره ، مليء بالأشواك والمعوقات ، مما يستدعي مزيداً من الصبر على البلاء وخاصة في لحظات الشدائد لتحقيق النصر ؛ولذا فإن الدعوة إلى الصبر في القرآن الكريم تأتي غالباً مقرونة بمعاني الفوز والفلاح والصدق والنصر كقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال : ٤٥ –٤٦] . قال ابن كثير رحمه الله : " أمر تعالى بالثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم ، فلا يفروا ولا ينكلوا ولا يجبنوا ، وأن يذكروا الله في تلك الحال ولا ينسوه بل يستعينوا به ويتكلوا علي ، ويسألوه النصر على أعدائهم ، وأن يطيعوا الله ورسوله في حالهم ذلك ، ولا يتنازعوا فيما بينهم فيختلفوا فيكون سبباً لتخاذلهم وفشلهم " (١) .وفي آية أخرى يأمر الله تعالى بالصبر ليتحقق الفلاح قال عز شأنه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [آل عمران : ٢٠٠] . قال ابن عاشور : " ختمت السورة بوصاية جامعة للمؤمنين تجدد عزيمتهم ، وتبعث الهمم إلى دوام الاستعداد للعدو ، كي لا يثبطهم ما حصل من الهزيمة يوم أحد ، فأمرهم بالصبر الذي هو جماع الفضائل وخصال الكمال ، ثم بالمصابرة : وهي الصبر في وجه الصابر ، وهذا أشد الصبر ثباتاً في النفس وأقربه به إلى التزلزل ، وأمرهم بالمرابطة وهي ربط الخيل لحراسة الثغور في غير جهاد كيلا يفاجئهم عدوهم إلا وهم مستعدون له ، ثم أعقب الله ذلك بالأمر بالتقوى ، لأنها جماع الخيرات وبها يرجى الفلاح " (٢) .لقد أثبت القرآن بكل وضوح أن الصبر يفضي إلى النصر ، حتى وإن كان هناك فرق بين القوتين المتحاربتين .قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ (٦٥) الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال : ٦٥ – ٦٦] . يقول ابن عادل في تفسيره : " هذا خبر والمراد به الأمر ، والمعنى : أن يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في القتال حتى يغلبوا مائتين ... وإنما حسن التكليف ، لأنه مسبوق بقوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [الأنفال : ٦٤] . فلما وعد المؤمنين بالكفاية والنصرة كان هذا التكليف سهلاً ، لأن من تكفل بنصره فإن أهل العالم لا يقدرون على إيذائه ، كما أن أعداءه قوم لا يؤمنون بالله ولا يؤمنون بالمعاد ، ولذلك لا يصبرون . أما المؤمنون فلا يبالون بهذه الحياة الدنيا فيقدمون على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح ، مستغيثين بربهم ، ومن كان كذلك كان النصر والظفر به أليق وأولى " (١) .وإذا كان الصبر بهذه المثابة في تحقيق النصر ، فلا ريب أن على الأمة الإسلامية اليوم وهي تعاني ما تعاني من الضعف والهوان أن تتسلح بسلاح الصبر فتدعوا الله تعالى أن يمنحها إياه (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) [البقرة : ٢٥٠] .

٦ – الدعاء : يعتبر الدعاء من أمضى الأسلحة التي تسهم في تحقيق النصر ، ومهما أعد المسلمون من أسلحة وعدة وعتاد ، فإنهم يظلون عرضة للفشل والهزيمة إذا امتنعوا عن استخدام هذا السلاح أو أساؤوا استخدامه (٢) .ومن هنا فقد كان من سنن الأنبياء – عليم الصلاة والسلام – صدق اللجوء إلى الله والتضرع إليه في السراء والضراء ، وعدم الركون إلى الأسباب وحدها في نيل النصر والظفر به .فهذا نوح عليه الصلاة والسلام لما يئس من قومه وتفاقم أمرهم دعا الله أن ينصره عليهم، قال تعالى (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ) [القمر : ١٠] ، فجاءت الإجابة الربانية سريعة (فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ) [القمر : ١١ – ١٤] .وها هو نبينا محمد ﷺ لا يتوانى في استخدام الدعاء وسيلة لنيل النصر بجانب أخذه بكل الأسباب الموجبة للنصر ، لأنه ﷺ كان مدركاً أن الدعاء وحده لا يصنع نصراً ، وأن القوة وحدها لا تفي بالمؤنة . يقول الله تعالى عن استنصار النبي يوم بدر وعن استجابته سبحانه له : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ) [الأنفال : ٩ – ١١]. وعن عمر رضي الله عنه قال : " لما كان يوم بدر ، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف ، وأصحابه ثلاثمائة

وتسعة عشر رجلاً ، فاستقبل نبي الله القبلة ، ثم مدَّ يديه فجعل يهتف بربه (**اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني ، اللهم إنك إ تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**) فما زال يهتف بربه ماداً يديه ، مستقبل القبلة ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر ، لأخذ رداءه ، فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه وقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك . فأنزل الله عز وجل : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ) [الأنفال : ٩] ، فأمده الله بالملائكة " (١) .

وعن عبد الله بن أبي أوفى قال : " دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال : (**اللهم منزل الكتاب ، ومجري السحاب ، وهازم الأحزاب ، اللهم أهزمهم وأنصرنا عليهم**) (٢).فإذا كان للدعاء هذا الأثر في حصول النصر فلا مندوحة للمؤمنين أن يتوجهوا إلى ربهم بالدعاء ليحقق لهم النصر المؤزر .

وللدعاء شروط يحصل بها نصر الله منها :

١ – أن يكون الدعاء في جميع حالات المؤمن ، في اليسر والعسر ، والمنشط والمكره قال تعالى: (وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) [يونس : ١٢] . وقال ﷺ :(**من يسره أن يستجاب له عند الكرب والشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء**) (٣)

٢ – أن لا يستكبر المؤمن عن دعاء الله ، بل يتيقن أنه من أنفع الأسباب في حصول النصر ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر : ٦٠] والعبادة هنا: الدعاء (٤) .

٣ – أن لا يستعجل الإجابة من الله تعالى ، لأن الله أمر العبد بالدعاء وتكفل هو سبحانه بالإجابة ، (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر : ٦٠] . وقال عز وشأنه : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة : ١٨٦] .

٤ – أن لا يكتفي بالدعاء عن الإعداد، فالدعاء وحده من غير عمل وإعداد لتحقيق النصر لا يسمن ولا يغني من جوع، ويؤكد ذلك أن النبي ﷺ قد أعد نفسه وأصحابه إعداداً معنوياً ومادياً ؛ وما من غزوة غزاها إلا خطط لها واعتنى بها واتخذ كافة التدابير المحققة لنصر الله تعالى ، كل ذلك فعله مع دعائه لربه ومناجاته له (١) ؛ فهو ﷺ يعلم أن الدعاء لا قيمة له إذا لم يكن مقروناً بالإعداد الصادق معنوياً ومادياً .

٥ – **الإعداد المادي بكل أنواعه** :يقول الله تعالى : (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ)[الأنفال : ٦٠] .فهذا أمر من الله تعالى للمؤمنين باتخاذ الأسباب التي تكفل لهم النصر أمام أعدائهم من القوة ومن رباط الخيل .و (القوة) في الآية جاءت نكرة لتشمل كل أنواع القوة الفكرية والاقتصادية والعلمية والعسكرية وغيرها مما يتسنى للمسلمين كل بحسب عصره وزمانه(٢) (ورباط الخيل) : حبسها واقتناؤها ، وإنما خص ذكرها هنا مع أنها من أنواع القوة العسكرية لأنها الأداة التي كانت بارزة عند من نزل عليهم القرآن (٣) . يقول المراغي رحمه الله تعقيباً على الآية : " إن تكثير الآت الجهاد وأدواتها كما يرهب الأعداء الذين نعلم أنهم أعداء يرهب الأعداء الذين لا نعلم أنهم أعداء (وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ) [الأنفال : ٦٠] . فالاستعداد للحرب يرهب الأعداء ، ويمنعهم من الإقدام على القتال ، وهذا ما يسمى في العصر الحديث (السلام المسلح) " (١) ، أو (إستراتيجية الردع) (٢) ، فإنك ما لم تكن قوياً فلن تحصل على السلام من الآخرين. وإذا كان الله تعالى قد وعدنا النصر بهذا الإعداد ، فليس شرطاً أن تكون القوة المطلوب إعدادها مماثلة لقوة الأعداء ، لأن الله تعالى بين أن عملية إعداد القوة ، إنما تكون في حدود الوسع والطاقة (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ....) [الأنفال : ٦٠] . فمتى استجاب المؤمنون لأمر ربهم ، وأعدوا العدة على قدرا استطاعتهم لمواجهة العدو فإن النصر بلا ريب حليفهم كما وعدهم الله . ويؤكد الله تعالى على هذه الحقيقة فيقول (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ (٦٥) الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال : ٦٥ – ٦٥] . فهذه الآية إخبار من الله بحصول الغلبة للمؤمنين في حالتي القوة والضعف متى التزموا بالأخذ بأسباب النصر من الثبات في وجه العدو ، وتحقيق الإيمان على الوجه المطلوب ، وحث القائد جنده على الجهاد . فلا يلزم لانتصار المؤمنين على عدوهم أن يكونوا مساوين لهم في العدد والعدة ، بل يكفي لنصرهم أن يكونوا في ثلث قوتهم إذا كانت هذه غاية استطاعتهم (١) ؛ ذلك أن الأسباب المعنوية والشرعية منها خاصة تعوض مابهم من نقص ، وتكفل لهم رضى الله وتأييده ونصره ، فما النصر إلا من عند الله .ولكن ليعلم المؤمنون أن الأسباب المادية وحدها لا تكفي في نيل النصر على أهميتها ، بل لابد من



الأخذ بالأسباب المعنوية التي سبق بيانها أيضاً ليكون لها الفاعلية في إحراز النصر الذي وعده الله عباده فقال (إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [محمد : ٧] .

المبحث السادس معوقات النصر

لقد تبين معنا من كل ما سبق أن الله تعالى جعل سنته في النصر قائمة على فعل العبد للأسباب المحققة له ، قال عز شأنه : (إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [محمد : ٧] ؛ ومن هنا فإن تخاذل العبد عن اتخاذ الأسباب السابق ذكرها ، أو التقصير فيها أو تجاهلها سيؤدي حتماً إلى إعاقة النصر وانقلابه إلى هزيمة وفشل .

فمن معوقات النصر ما يلي :

١ – عدم الإخلاص :إن من أهم الأسباب في عدم الانتصار عندما يكون العمل لغير الله تعالى ، فترفع شعارات القومية وغيرها ، وينسى أن الأصل هو تحقيق خلافة الله تعالى في الأرض بإقامة دينه وشرعه ، فحين تكون النيات لغير الله تعالى نجد التولي والخوف والجبن عن مجابهة الأعداء ، ولا يثبت إلا المؤمنون المخلصون .قال الله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [البقرة : ٢٤٦ – ٢٤٧] .ذكر الله عز وجل في التحريض على القتال قصة جرت في بني إسرائيل من بعد موسى أي بعد وفاته ، حيث طلبوا من نبي لهم أن يجعل عليهم أميراً يرجعون إليه ويعملون برأيه ، ويقاتلون في سبيل الله ، فلما كتب الله عليهم القتال تولوا .قال الشوكاني – رحمه الله – " أخبر سبحانه أنهم تولوا لاضطراب نياتهم وفتور عزائمهم " [١] ، واستثنى منهم عدداً قليلاً .ثم جعل عليهم طالوت ملكاً يرجعون إليه ، فاعترضوا على ذلك ، فبين لهم نبيهم سبب اصطفاء الله عز وجل لطالوت فقال (إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ). قال الشوكاني : " قوله (اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ) أي اختاره ، واختيار الله هو الحجة القاطعة ، ثم بين لهم مع ذلك وجه الاصطفاء : بأن الله زاده بسطة في العلم ، الذي هو ملاك الإنسان ورأس الفضائل وأعظم وجوه الترجيح وزاده بسطة في الجسم الذي يظهر به الأثر في الحروب ونحوها ، فكان قوياً في دينه وبدنه ، وذلك هو المعتبر . لا شرف النسب " [٢] .ففي الآية دليل على أن عدم إخلاصهم لله كان سبباً في توليهم عن القتال ، لأنهم ادعوا أنهم يردون القتال في سبيل الله ، فلما كتب عليهم تولوا إلا قليلاً منهم ، فظهر منهم عدم إخلاصهم لله تعالى ، كذلك تظهر فضيلة العلم وفضيلة قوة البدن في الحروب ، وأنهما من الصفات المطلوبة في القائد للحروب وأن ذلك من أسباب النصر .

٢ – المعاصي والآثام :إن بعد المسلمين عن دينهم ، وعصيانهم لأمر الله تعالى ورسوله من أهم العوائق التي تحول دون تحقيق نصر الله تعالى ، لأن الله تعالى يمكن للمسلمين ليقيموا أوامره وشرعه ، فكيف ينصرهم وهم قائمون على معاصيه ؟! لقد هزم المؤمنون وفيهم رسول الله – ﷺ – في معركة أحد حين عصوا أمر الرسول ﷺ . قال الله تعالى : (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) [آل عمران : ١٥٢] ؛ فقوله تعالى : (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ) أي بالنصر والظفر ، فنصر الله تعالى المؤمنين في أول غزوة أحد ، فلما حصل من المؤمنين الفشل وهو الضعف والخور ، وتنازعوا في الأمر وتركوا أمر النبي ﷺ حصلت الهزيمة لهم ؛ فكان السبب في هزيمتهم عصيان أوامر الرسول ﷺ [١]يقول أبو زهرة : " لقد أذن الله بالهزيمة للمسلمين في زمن النبي لكي يعتبروا ويحسنوا التدبير ويحسنوا الطاعة ،ويحترموا القيادة الحكيمة الرشيدة ، ولكي يتخذوا من الهزيمة علاجاً للأخطاء التي سببتها ، وتوقياً في المستقبل لها ، ولكي يثبت في النفوس المؤمنة أن النصر ليس مستمراً وإن كانت العاقبة في النهاية لأهل الحق والعدل " [٢] .إن ما حصل للمسلمين يوم أحد وهم خير القرون من الهزيمة بسبب معصيتهم فيه عبرة لنا اليوم ، إذ كيف ينصرنا الله في زمن عمت فيه المعاصي والشهوات ، و حب الدنيا ؟! . فإذا أردنا النصر فلابد من لزوم طاعة الله تعالى ، والبعد عن المعاصي والشهوات ، أسأل الله تعالى أن يردنا إليه رداً جميلاً .

٣ – الاغترار بالكثرة والعدد :كثيراً ما نسمع عن كثرة أعداد المسلمين في هذا الزمن ، وقد يعجب ويغتر البعض بهذا العدد ، ولكن ما يعيشه المسلمون اليوم من الذل والمهانة يوضح أن هذا العدد والكثرة ما هو إلا غثاء كغثاء السيل . قال رسول الله ﷺ : (**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**) فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟– قال : (**بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ،**



ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن) فقال قائل :يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : (**حب الدنيا وكراهية الموت**) [١] . ولقد انهزم المسلمون يوم حنين وفيهم رسول الله ﷺ حين أعجبتهم كثرتهم ، وقال بعضهم : (**لن نغلب اليوم من قلة**) [٢] . قال الله تعالى (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ) [التوبة : ٢٥] . قال ابن الجوزي : " ومعنى الآية أن الله عز وجل أعلمهم أنهم إنما يغلبون بنصر الله لا بكثرتهم " [٢]، وقال النسفي : " (أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) فأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة ، وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا " [٣] . وقال ابن عاشور : " وتخصيص يوم حنين بالذكر من بين أيام الحروب ، لأن المسلمين انهزموا في أثناء النصر ثم عاد إليهم النصر ، فتخصيصه بالذكر كان لما فيه من العبرة بحصول النصر عند امتثال أمر الله ورسوله ، وحصول الهزيمة عند إيثار الحظوظ العاجلة على الامتثال " [٤]

٤ – **الركون إلى أعداء الله تعالى وطاعتهم** :حذر الله تعالى المسلمين من عاقبة الركون إلى الظالمين وطاعتهم فقال عز وجل : (وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ) [هود : ١١٣] .وقال عز شأنه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ ...) [آل عمران : ١٤٩] .ففي الآيتين يحذر عز وجل من الركون إلى الكافرين الظالمين وإطاعتهم بأي نوع من أنواع الطاعة ، لأن ذلك لا يليق بهم وهم المؤمنون ، ولأن الكافرين لا يزيدونهم إلا خبالاً ، فيرجعونهم إلى ما كانوا فيه من الكفر ، وحينها سيكون الخسران في الدنيا والآخرة ، أما الدنيا فكونهم يرون أنفسهم منقادين إلى عدوهم ، مظهرين الحاجة إليه ، وأما الآخرة فالحرمان من الثواب والوقوع في العقاب المذل . [١] .ومن هنا يجب على المسلمين الاعتزاز بدينهم والتمسك به ، وعدم مداهنة الكفار والركون إليهم خاصة مع كون الكفار يسلكون الطرق لمداهنة المسلمين حتى يتنازلوا عن دينهم ويضعف في نفوسهم ، فلا يكن في قلوبهم حب التضحية في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى ، وقد كان ذلك منذ زمن النبي ﷺ فقد عرضت قريش على الرسول ﷺ المال والنساء والملك ؛ كي يترك دعوته [٢] ، لكنه مع ذلك استمر في دعوته – عليه الصلاة والسلام – ولاقى الصعاب هو وأصحابه – رضي الله عنهم – وصبروا حتى كان النصر حليفهم .وقد عرضت قريش على الرسول ﷺ أن يعبد آلهتهم يوماً ويعبدوا إلهه يوماً [٣] ، وعرضوا عليه التخلي عن بعض أتباعه كي يجالسوه ويباحثوه ويسيروا معه [٤] إلا أن النبي ﷺ لم يكن ليداهن في دينه ، بل كان ولاؤه لله وحده ، وحبه لأصحابه رضي الله عنهم واضح ، وبراءته من الكفار وآلهتهم من دون الله ظاهرة أيضاً ، قال تعالى (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ(٤) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) [الكافرون] ، وقال تعالى (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً) [الكهف : ٢٨] . ومن هنا أمتن الله على رسوله ﷺ أن ثبته على ما أوحاه إليه وعصمه من فتنة المشركين ، ووقاه الركون إليهم ولو قليلاً ، ورحمه من عاقبة هذا الركون ، وهو عذاب الدنيا والآخرة مضاعفاً وفقدان المعين والنصير ، قال تعالى : (وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً (٧٣) وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً (٧٤) إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً) [الإسراء :٧٣– ٧٥] . وقال تعالى (وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ) [البقرة : ١٢٠] .لقد حذر الرسول ﷺ – أمته من الركون إلى منهج غير منهج شريعته الذي أوحاه الله إليه ، وقال فيه كلمة الفصل بلا غموض ولا لبس . فعن عبد الله بن ثابت قال : " جاء عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله ! إني مررت بأخ لي من يهود فكتب لي جوامع من التوراة ، قال : أفلا أعرضها عليك ؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ ، قال عبد الله ابن ثابت : ... إلا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ ؟! فقال عمر : رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً و بمحمد رسولاً . قال : فسرّى عن النبي ﷺ ثم قال : (**والذي نفسه بيده لو أصبح فيكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم ، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين**) [١] .

٥ – **التنازع والاختلاف** :من أعظم أسباب الهزيمة الفرقة والشتات والاختلاف، وقد أمر الله المسلمين بالوحدة ونهاهم عن التفرق فقال تعالى : (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ) [آل عمران : ١٠٣] ، وذكّرهم بالحال التي كانوا عليها قبل الإسلام ، حيث كانوا قبائل متناحرة يعادي بعضها بعضاً ، ويسب بعضها بعضاً ، فلما جاء الإسلام أصبحوا في ظله إخوة أحبة ، قال تعالى : (وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [آل عمران : ١٠٣] ، ونهاهم أن يسلكوا مسلك الأمم من قبل ، وهو التنازع والاختلاف بعد أن جاءهم الهدى ، فقال تعالى : (وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ

تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [آل عمران : ١٠٥].وقد أخبر جل وعلا أن التنازع والخلاف يسبب الفشل وذهاب قوة الأمة ، لأن قوتها تصرف في إهلاك بعضها بعضاً ، وكيد بعضها لبعض وتدبير بعضها لبعض ، فقال تعالى : (وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال : ٤٦] . قال القنوجي : " أمرهم بطاعة الله فيما يأمرهم به وطاعة رسوله فيما يرشدهم إليه ، ونهاهم عن التنازع ؛ وهو الاختلاف في الرأي فإن ذلك يتسبب عنه الفشل وهو الجبن في الحرب ، وذهاب ريحهم : أي قوتهم ونصرهم ، كما أمرهم بالصبر على شدائد الحرب وأخبرهم بأنه مع الصابرين بالنصر والعون في كل أمر ينبغي الصبر فيه ، ويا حبذا هذه المعية التي لا يغلب من رزقها غالب ، ولا يؤتى صاحبها من جهة من الجهات وإن كانت كثيرة " (١) .وإذا كانت للوحدة هذه الآثار في تحقيق النصر فعلى المسلمين بلوغها ومما يساعدهم في ذلك الالتفاف حول القرآن والسنة قال تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) [النساء : ٥٩] . ثم إن الطاعة لأولي الأمر في غير معصية الله عامل آخر من عوامل الوحدة وتحقيق النصر بإذن الله كما جاء في الآية . ويؤكد ذلك قوله ﷺ :(على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ؛ فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)(٢) . عندما يتحقق ما سبق من الطاعة والوحدة يستحيل أفراد المجتمع كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً (٣) .

٦ – **الهزيمة النفسية** :إن تسلل الشعور بالهزيمة النفسية لدى المسلمين يعد من أخطر أسباب الفشل ، إذ يرون أنفسهم ضعافاً في مقابلة قوة الأعداء المادية مما يضعف الهمة ، ويجلب اليأس في نفوسهم . فنجد كثيراً منهم يرهبون قوة الأعداء المادية ، ويبالغون في تضخيمها ، وفي المقابل يحتقرون أنفسهم بالنسبة لما عند عدوهم من قوة مادية ، وكأن تلك القوة هي وحدها سبيل النصر .لقد انبهر المسلمون بما عند أعدائهم بسبب ما نالهم من ضعف وخور على طريقة إعجاب المغلوب بالغالب ، مع أن هذه الأسباب المادية على أهميتها في نيل النصر ، إلا أنها لا تساوي شيئاً أمام قوة الإيمان واليقين والصبر ؛ وهذا ما أدركه الموقنون بنصر الله مع جالوت هذه الحقيقة ، قال الله تعالى : (... فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) [البقرة : ٢٤٩] . ويؤكد هذه الحقيقة نصرة الله تعالى للمؤمنين يوم بدر مع قلتهم وذلهم ، قال تعالى في معرض الامتنان : (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [آل عمران :١٢٣] ، ويقول الله تعالى : (وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [الأنفال : ٢٦] . إذن القوة المادية ليست كل شيء بل القوة المعنوية المتمثلة في الإيمان واليقين والصبر والوحدة والإخلاص والتوكل هي أكثر أهمية وفاعلية في تحقيق نصر الله متى تمسك بها المسلمون مع ما في استطاعتهم من الإعداد المادي كان ذلك كافياً في تحقيق النصر لهم ؛ قال تعالى : (إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ (٦٥) الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال : ٦٥-٦٦] ؛ فهذه الآيات إذن تحمل وعداً من الله وبشارة بنصر المؤمنين وإن كانوا ثلث عددهم ما داموا صابرين ، مؤمنين بوعد الله ، ثابتين (١) . لكن إذا تخلى المسلمون عن أحد الأسباب المحققة للنصر سواء المادية أم المعنوية فلا ريب أن يكون الفشل نصيبهم ، ويكون في المقابل النصر حليف أعدائهم إن الأعداء لم ينصروا إذن من أجل قوتهم المادية لكن من أجل ضعف المسلمين المعنوي والمادي ؛ وهذا ما ينبغي على المسلمين معرفته وإدراكه حتى لا يغتروا بقوة عدوهم فيصيبيهم الإنهزام النفسي ، وحتى يدفعهم ذلك إلى الأمل من جديد في نصر الله تعالى ؛ لأن طريقه هو الرجوع إلى الله ، وتحقيق ما أمرهم به من الأسباب المعنوية والمادية ، فينالوا بذلك نصر الله كما وعدهم إياه قال سبحانه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [محمد : ٧] . **ونصرتنا لله** : هي قيامنا بأسباب النصر المعنوية والمادية ، وبالتالي تجنب أسباب الفشل والخذلان (١) وبعد فهذه بعض المعوقات التي تحول دون نصر الله عز وجل لعباده المؤمنين ، وللأسف فإن كثيراً منها اليوم متحقق في المسلمين ، ولذا لابد من إزالتها وفعل أسباب النصر . ومع ما سبق لا يخلو زمن من الأزمان من طائفة على الحق منصورة قال ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون)(٢) ؛ قال النووي رحمه الله : " ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون ، ومنهم فقهاء ، ومنهم محدثون ، ومنهم زهاد ، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ، ومنهم أهل أنواع أخرى .... ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأرض ، وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة ، فإن هذا الوصف ما زال بحمد الله تعالى من زمن النبي ﷺ إلى الآن ، ولا يزال حتى يأتي أمر الله " (٣) .

المبحث السابع الحكمة من تأخر النصر

إن نصر الله عز وجل متحقق لمن يستحقونه وهم المؤمنون الذين يثبتون حتى النهاية ، الذين يثبتون على البأساء والضراء ، الذين يصمدون للزلزلة فلا يحنون رؤوسهم للعاصفة ، الذين يستيقنون أن لا نصر إلا نصر الله ، وعندما يشاء الله ، وحتى حين تبلغ المحنة ذروتها فهم يتطلعون فحسب إلى نصر الله لا إلى أي حل آخر ، ولا إلى نصر لا يجيء من عند الله ، ولا نصر إلا من عند الله ومع ذلك فإن من سنن الله تعالى أن النصر قد يتأخر ولو كان أهله مسلمون وأعداؤهم كفار **وذلك لأسباب** :

١ – قد يؤخر النصر لحكمة يريدها الله ، فتظهر في أول الأمر الهزيمة ، ويهزم الحق في الظاهر ، إلا أنها في الحقيقة صور للنصر تخفي حكمتها على البشر ، والمؤمنون غير مطالبين بنتائج ، إنما هم مطالبون بالسير على منهج القرآن وأوامره ، والنصر بعد ذلك من أمر الله ينزله متى شاء قال تعالى : (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [(الأنفال : ١٧] .

٢ – أن البنية للأمة لم تنضج بعد ، ولم يتم بعد تمامها ، ولم تحشد بعد طاقاتها ، ولم تتحفز كل خلية وتتجمع لتعرف أقصى المذخور فيها من قوى واستعدادات فلو نالت النصر حينئذ لفقدته وشيكاً لعدم قدرتها على حمايته طويلاً ، لأن النصر السريع الهين اللين سهل فقدانه وضياعه ؛ فهو رخيص الثمن لم تبذل فيه تضحيات عزيزة .

٣ – لتزيد الأمة المؤمنة صلتها بالله وهي تعاني وتتألم وتبذل ولا تجد لها سنداً إلا الله ولا ملجأ إلا إليه ، وهذه الصلة هي الضمانة الأولى لاستقامتها على المنهج الصحيح بعد النصر عندما يتأذن به الله ، فلا تطغى ولا تنحرف عن الحق والعدل والخير الذي نصرها الله به .

٤ – أن الأمة المؤمنة لم تتجرد بعد في كفاحها وبذلها وتضحياتها لله ولدعوته ، فهي تقاتل لمغنم تحققه أو تقاتل حمية لذاتها ، أو تقاتل شجاعة أمام أعدائها . والله يريد أن يكون الجهاد له وحده وفي سبيله ، بريئاً من المشاعر الأخرى التي تلابسه ، وقد سئل النبي ﷺ : " الرجل يقاتل حمية ، والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه فأيها في سبيل الله ؟ " : فقال : **(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)** [١] .

٥ – أن الباطل الذي تحاربه الأمة المؤمنة لم ينكشف زيفه للناس تماماً ، فلو غلبه المؤمنون حينئذ فقد يجد الباطل له أنصاراً من المخدوعين فيه لم يقتنعوا بعد بفساده وضرورة زواله ، فتظل له جذور في نفوس الأبرياء الذين لم تتكشف لهم الحقيقة . فيشاء الله أن يبقى الباطل مدة من الزمن حتى يتكشف عارياً للناس ، وإذا ما ذهب فإنه يذهب غير مأسوف عليه .

٦ – أن البيئة لا تصلح بعد لاستقبال الحق والخير والعدل الذي تمثله الأمة المؤمنة . فلو انتصر حينئذ للقيت معارضة من البيئة حولها لا يستقر معها قرار ، فيظل الصراع قائماً حتى تتهيأ النفوس من حوله لاستقبال الحق الظافر ولاستبقائه .

٧ – لكي تظهر خبايا النفوس ، وتبرز معادن الناس من خلال واقع منظور ، لا من خلال أقوال وأمنيات ، فتتميز الصفوف ، وتتمحص النفوس ، ويعلم المؤمنون الصابرون فينصرهم الله ، ذلك أن النصر شرف لا يناله قلب قاس غافل ، أو نفس مريضة أو أمة غرقت في الشهوات والأهواء ، وتعمق بين صفوفها التنازع والاختلاف و سوء الظن . [٢] .من أجل هذا كله ، ومن أجل غيره مما يعلمه الله ولا نعلمه نحن قد يتأخر نصر الله فتتضاعف التضحيات ، وتتضاعف الآلام ، وتتضاعف معها الأجور ، وفي كل ذلك خير مع دفاع الله عن الذين آمنوا وتحقيق النصر لهم في النهاية : (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١) وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤) فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٤٧) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ) [الحج : ٤٠–٤٨].

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على نبينا محمد إمام المتقين ، وسيد العالمين ، وسلم تسليماً كثيراً ، وبعد :

فإنني هنا أختم بذكر بعض نتائج هذا البحث ومنها :

١ – كل خير يأتي للإنسان مادي أو معنوي هو نصر بالمفهوم القرآني .

٢ – للنصر ألفاظ كثيرة تقاربه وأخرى تقابله .

٣ – غاية النصر ظهور دين الله في الأرض بإقامة منهجه والحكم بشريعته .

٤ – وعد الله للمؤمنين بالنصر يقابله وعيد بالهزيمة لمن لم ينصره ، وسبيل نصر الله بإقامة منهجه ، وتطبيق شرعه .

٥ – لا يعني النصر في المعركة نهاية النصر ، بل للنصر تكاليف بعده تتمثل في عدم الزهو به والبطر ، وعدم التراخي بعده والتهاون .

٦ – يعتبر نصر المبادئ والقيم بالحجة والبرهان من أقوى وأعظم أنواع النصر إذ طريقه الإقناع العقلي لا القوة العسكرية .

٨ – للنصر مقومات معنوية وأخرى مادية ، والمعنوية منها أعظم أثراً وأكثر نفعاً في جلب النصر وتحقيقه .

٩ – لا يعني الإعداد المادي أن تتكافأ قوة المؤمنين مع عدوهم ؛ لأن الله وعدهم النصر متى حققوا هذا الإعداد على قدر استطاعتهم .

١٠ – الإخلال بأحد مقومات النصر أو ببعضها يقلب النصر إلى الهزيمة والفشل .

١١ – من أعظم معوقات النصر الوقوع في شراك الهزيمة النفسية.

١٢ – قد يتأخر النصر رغم توفر المقومات وانتفاء المعوقات وذلك لحِكم إلهية يخفى بعضها على الناس.

فهرس المصادر والمراجع

- <u>القرآن الكريم</u>
- <u>الكتب :</u>

١ – **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ، للشنقيطي محمد المختار ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط (بدون) ، ١٤١٣هـ .

٢ – **الإيمان** ، لابن تيمية أحمد بن عبد الحليم (المكتبة الشاملة) .

٣ – **البحر المحيط** ، أبي حيان الأندلسي ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ط (٢) ١٣٩٨هـ

٤ – **تاج العروس** ، للسيد محمد مرتضى الزبيدي ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ط (١) ١٣٠٦هـ .

٥ – **التحرير والتنوير** ، لابن عاشور (الشاملة) .

٦ – **تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)** ، محمد بن محمد العمادي ، وضع حواشيه : عبد اللطيف عبد الرحمن ، دار الكتب العملية بيروت لبنان ، ط (١) ، ١٤١٩هـ .

٧ – **تفسير الجلالين** ، لجلال الدين محمد المحلي ، وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط (بدون) ، ت (بدون) .

٨ – **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**، لابن جرير محمد الطبري تحقيق : د / عبد الله التركي ، دار عالم الكتب ، لبنان ، ط (١) .

٩ – **تفسير القرآن العزيز** ، لابن أبي زمانين (الشاملة) .

١٠ – **تفسير القرآن العظيم** ، لابن كثير الدمشقي ، تحقيق : سامي السلامة ، دار طيبة ، الرياض ، ط (ط) ، الرياض ، ط (٢) ١٤٢٥هـ

١١ – **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)** ، للنسفي (الشاملة) .

١٢ – **التقوى الدرة المفقودة والغاية المشودة** ، أحمد فريد (الشاملة) .

١٣ – **تهذيب اللغة** ، للأزهري محمد بن احمد ، تحقيق : د / رياض زكي قاسم ، دار المعرفة ، بيروت ، ط (١) ، ١٤٢٢هـ .

١٤ – **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، للسعدي عبد الرحمن بن ناصر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط(١) ،١٤٢٠هـ .

١٥ – **الجامع لأحكام القرآن** ، للقرطبي محمد بن أحمد ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ١٤٠٥هـ .

١٦ – **الدر المنثور** ، عبد الرحمن السيوطي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤هـ .

١٧ – **الرسول القائد** ، محمود شيت خطّاب ، دار مكتبة الحياة ، بيروت – لبنان ، ط (٢) ١٩٦٠م.

١٨ – **روح المعاني** ، للألولوسي أبو الفضل محمود ، تصحيح : محمد حسين عرب ، دار الفكر ط (بدون) ، ت (بدون) .

١٩ – **زاد المعاد** ، لابن قيم الجوزية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط (٧) ، ١٤٠٥هـ .

٢٠ – زهرة التفاسير ، لأبي زهرة محمد ، (الشاملة) .

٢١ – **سنن أبي داود** ، لأبي داود سليمان السجستاني (ط) دار الكفر .




٢٢ – **سلسلة الأحاديث الصحيحة** ، للألباني محمد ناصر الدين ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط (٤) ، ١٤٠٥هـ .

٢٣ – **السيرة النبوية** ، لابن هشام عبد الملك ، تحقيق : محمد فهمي السرجاني ، دار التوفيقية ، القاهرة .

٢٤ – **شرح صحيح مسلم** ، للنووي يحيى بن شرف ، راجعه : خليل الميس ، دار القلم ، بيروت ، ط (١)

٢٥ – **صحيح البخاري** ، لأبي عبد الله بن إسماعيل البخاري ، دار الكتب العملية ، وبيروت ، ط(١) ، ١٤١٢هـ .

٢٦ – **صحيح مسلم** ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج ، تحقيق : فؤاد بن عبد الباقي ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط (٤) ، ١٤١٢هـ .

٢٧ – **فتح الباري في شرح صحيح البخاري** ، لابن حجر العسقلاني ، دار الكتب العملية ، بيروت ، ط (٣) ، ١٤٢١هـ .

٢٨– **فتح البيان في مقاصد القرآن** ، للقنوجي صديق بن حسن ، المكتبة العصرية ، صيد – بيروت ، ط (بدون) ، ١٤١٢هـ .

٢٩ – **فتح القدير** ، الشوكاني محمد بن علي ، دار الخير ، بيروت ، ط (١) ١٤١٢هـ .

٣٠ – **فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم** ، علي محمد الصلابي ، دار الحديث ، القاهرة (الشاملة) .

٣١ – **الفلسفة الحديثة في الميزان** ، محمد فتح الله بدران ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ط (١) ، ١٩٦٨م .

٣٣ – **القاموس المحيط** ، للفيروز آبادي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط (٦) ، ١٤١٩هـ .

٣٤ – **الكشاف** ، للزمخشري جار الله محمود عمر ، تعليق : خليل شمحا ، دار المعرفة بيروت ، ط(١) ١٤٢٣هـ .

٣٥ – **اللباب في تفسير الكتاب** ، لابن عادل عمر الحنبلي (الشاملة) .

٣٦ – **لسان العرب** ، لابن منظور محمد بن مكرم ، طبعة مصححة بمعرفة أساتذة متخصصين ، دار الحديث ، القاهرة ، ط (بدون) .

٣٧ – **محاسن التأويل** ، للقاسمي (الشاملة) .

٣٨ – **المتخصص** ، لابن سيده علي بن إسماعيل ، المطبعة الكبرى ، مصر ط (١) ، ١٣١٩هـ .

٣٩ – **المستدرك** ، للحاكم أبي عبد الله النيسابوري ، دار المعرفة ، بيروت ط (بدون) ، ت (بدون) .

٤٠ – **مصنف عبد الرزاق** ، لعبد الرزاق الصنعاني تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ط (٢) ، ١٤٠٣هـ .

٤٢ – **معالم التنزيل** ، للبغوي محمد الحسين بن مسعود ، دار المعرفة بيروت ، ط (١) ، ١٤٠٦هـ .

٤٣ – **معاني القرآن** ، لأبي جعفر النحاس ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، نشر ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط (١) ، ١٤٠٩هـ

٤٤ – **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن** ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب المصرية ، مصر ، ط (بدون) ، ١٣٦٤هـ .

٤٥ – **المفردات في غريب القرآن** ، للراغب الأصفهاني ، ضبطه : محمد خليل عيتاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ط (١) ، ١٤١٨هـ .

٤٦ – **مقاييس اللغة** ، لابن فارس أحمد بن زكريا ، اعتني به : د/ محمد عوض ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط (١) ، ١٤٢٢هـ

٤٧ – **موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم** ، إعداد : مجموعة من المختصين بإشراف : صالح بن حميد ، دار الوسيلة ، جدة ، ط (١) ، ١٤١٨هـ .

٤٨ – **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ، للبقاعي إبراهيم بن عمر (الشاملة) .

٤٩ – **وقفات تربوية مع السيرة النبوية** ، أحمد فريد (الشاملة) .

الهوامش

---

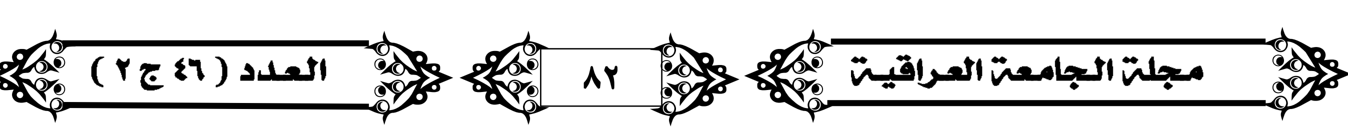
(١) انظر : مقاييس اللغة لابن فارس ، مادة (نصر) ص ٩٩٣ ، تهذيب اللغة للأزهري مادة (نصر) ٣٥٨٤/٤ ، تاج العروس للزبيدي ، مادة (نصر) ٥٦٧/٣–٥٦٨ . المخصص لابن سيده (١٦٦/١٢) ، القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ، مادة (نصر) ص (٤٨٢–٤٨٣) ، المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني ، مادة (نصر) ، ص (٤٩٧) .

(١) انظر : البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٢٦٤/٨) .

(٢) المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ص (٤٩٧) .

(٣) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، لمحمد فؤاد عبد الباقي ، ص (٨٧٤ – ٨٧٥) . ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية ، لمحمد إسماعيل إبراهيم ، ص (٥٢٩) .

(١) انظر : الفلسفة الحديثة في الميزان ، محمد فتح الله بدران ، ص (٤٢٠ – ٤٢١) .



(١) انظر : مقاييس اللغة لابن فارس ، مادة (فلح) ص (٧٩٧) ، ولسان العرب لابن منظور ، مادة (فلح) (١٤/٧) .

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني ، مادة (فلح) ص ((٣٨٦) .

(١) انظر : مزيداً من الأمثلة في : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، مادة (فلح) ص (٦٦٧ – ٦٦٨) والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص (٣٨٦ – ٣٨٧) ، والفلسفة الحديثة في الميزان ، لبدران ص (٤١٧ – ٤٢٠) .

(٢) انظر : مزيداً من الأمثلة في : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، مادة (فلح) ص (٦٦٧–٦٦٨) والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص (٣٨٦–٣٨٧) والفلسفة الحديثة في الميزان ، لبدران ص (٤١٧ – ٤٢٠) .

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، مادة (ظفر) ص (٤٣٤) .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٤٣/٧) .

(٥) انظر : ما رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب قوله تعالى : [الفتح ٢٤] ،حديث رقم (١٨٠٨) .

(١) انظر : ما رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب غزوة ذي قرد ، حديث رقم (١٨٠٧) ، وكتاب السيرة النبوية الصحيحة ، د / أكرم ضياء العمري (٤٤٥/٢ – ٤٤٦) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٧٠٥/٢) ، وانظر : تفسير الطبري (٢٩٠/٢١) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٤٤/٧) .

(٣) انظر : تهذيب اللغة للأزهري مادة (ظهر) (٢٢٥٥/٣) ، تاج العروس (٣٧٣/٣) .

(٤) انظر : المفردات في غريب القرآن ، مادة (ظهر) ص (٣٢٠ – ٣٢١) ، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص (٣٢٤ – ٣٢٥) .

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٤٢/٢) .

(٢) انظر : تفسير القرآن للسمعاني (٢٠١/٥) .

(٣) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، مادة (ظهر) ص (٥٩٩) ، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية لإسماعيل ص (٣٢٤ – ٣٢٥) .

(٤) انظر : المفردات في غريب القرآن ص (٣٧٢) ، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية لإسماعيل ص (٣٨٦) .

(٥) المفردات في غريب القرآن للراغب ص (٣٧٣) .

(١) المرجع السابق ص (٣٧٢) .

(٢) البحر المحيط لأبي حيان(٨٨/٨–٨٩) .

(٣) انظر : تاج المعروس (٣٤٩/٩) ، المفردات في غريب القرآن للراغب ص (٤٧٤) ، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية لإسماعيل ص (٥٠٢)

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٩٦/٢) .

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٩/٦) ، تفسير أبي السعود (٤٧٩/٤) .

(١) انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٤٦٤/٥ ، ٤٦٥) أضواء البيان للشنقيطي (٣٩٢/٦) .

(٢) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص (٦٧٢) .

(٣) انظر : تاج العروس للزبيدي، (٤١٤/١) ، مفردات ألفاظ القرآن للراغب، ص (٦١١) ، معجم الألفاظ ولأعلام القرآنية ، لإسماعيل ص(٣٧٥ – ٣٧٦)

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي(٩٦/٢) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة للأزهري ، مادة (ولي) (٣٩٥٥/٤) المفردات في غريب القرآن للراغب ، مادة (ولي) ص (٥٤٨) .

(٣) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن مادة (ولي) ص (٩٣١ - ٩٣٤) .

(٤) معالم التنزيل للبغوي (٩٨/٢) .

(٥) المجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٨٢/٢) .

(٦) فتح البيان في مقاصد القرآن (٣١/٥١)

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥١/٦) ، تاج العروس (١٠٣/٩) ، والمفردات في غريب القرآن ص (٥٢١) ، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص (٥٥٤) .

(٢) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص (٧٣٧) .

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن ، للقنوجي (٨٠/٢) .

(٤) انظر : تفسير الطبري (٢٩/٢٠) .

(١) فتح القدير (١٢٨/٥-١٢٩) .

(٢) انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة (ثبط) (٦٥٦/١) ، المفردات في غريب القرآن ص (٨٥) .

(٣) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص (١٠٢) .

(٤) انظر : تفسير القرآن للسمعاني (٣١٣/٢-٣١٤) .

(١) انظر : المفردات في غريب القرآن ص (٣٨٢) ، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية ، ص (٣١٩) .

(٢) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص (٥٢٠) .

(٣) انظر : تفسير البغوي (معالم التنزيل) (٩٧/٢-٩٨) .

(٤) انظر : السيرة النبوية ، لابن هشام (٥/٣) .

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٨٢/٤) ، معاني القرآن للنحاس (١٧٠/١) .

(٦) انظر : فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي (٣٥٣/٢-٣٥٤) .

(٧) انظر : تفسير القرآن العزيز ، لابن أبي زمانيين (١٤٤/٢) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٠٥/٣) إلى عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد .

(٢) انظر : فتح البيان للقنوجي (١٨٨/٥) .

(٣) انظر : القاموس المحيط ص (٣٨٤) ، ومعجم الألفاظ القرآنية ص (١٥١) .

(٤) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص (٢٣٢) .

(٥) تفسير الطبري (١٧٠/١٠) .

(٦) انظر : روح المعاني للألوسي (١٣٤/٧) .

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة مادة (كبت) (١٥٢/٥) ، تاج العروس (٥٧٥/١) ، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص (٤٤٤) .

(٢) انظر : تاج العروس (٢٤٢/١) ، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص (١٦٦) .

(٣) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص (٥٨٨) .

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٢٥١/١) .

(٥) انظر : القاموس المحيط للفيروز آبادي ص (٩٩٢) ، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص (١٤٨) .

(٦) انظر : المعجم المفهرس ص (٢٨٩) .

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢٦٨/١ – ٢٦٩) .

(٢) انظر : فتح البيان للقنوجي (٣٠٤/٩)

(٣) تفسير الطبري (٥٤١/١٤)

(٤) انظر : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (٢٦٨/١ – ٢٦٩) .

(٥) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص (٢٥٣) .

(١) انظر : تفسير الطبري (٣٦٣/١١) .

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، د / محمد أبو شيبة ص (٥٩) .

(٢) لا يعني هذا إكراه من لا يدين بالإسلام على أن يدين به ، بل يكتفي منه ببذل الجزية إذا لم يسلم . إيذانا بخضوعه لسلطان المسلمين كما دلت على ذلك النصوص الأخرى . وأما المقصود من إقامة منهج الله وإعلاء كلمته في الأرض هو : **أولاً** : أن يقيم المسلمون أنفسهم شريعة الله بينهم ليحصل لهم بذلك نصر الله . **ثانياً** : أن يقاتلوا عدوهم من أجل هذه الغاية ، وليس من أجل غاية دنيوية ترضي أهواءهم ونزواتهم كأن يقاتلوا لإعلاء ملكهم وسلطانهم البشري ، فهذا خلاف ما أمروا به من القتال لإعلاء كلمة الله في الأرض . **وثالثاً** : أن يطبق المسلمون أحكام دين الله في البلاد التي يفتحونها سواء بتطبيق الأحكام الخاصة بالمسلمين على من يدخلون الإسلام من أهلها وبهذا تعلو كملة الله على الناس جميعاً .

(١) رواه الحاكم في المستدرك ، كتاب الفتن والملاحم (٥٤٠/٤) وقال : (صحيح على شرط مسلم) ، رواه ابن ماجة من طريق آخر عن ابن عمر في كتاب الفتن باب العقوبات حديث رقم (٤٠١٩) (١٣٣٢/٢ / ١٣٣٣) وإسناده ضعيف . قال البوصيري في الزوائد : هذا " حديث صالح للعمل به واختلف فيه لأجل ابن أبي مالك وأبيه " ، ورواه البزار في مسنده ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٧٢/٥) : " رواه البزار ورجاله ثقات " . رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٣٣١٥) (١٩٧/٣) ، وقال الألباني : (الحديث صحيح لغيره) . انظر : صحيح الترغيب والترهيب ، برقم (٢١٨٧) (٢٥٦/٢)

(٢) رواه الحاكم في المستدرك : كتاب الإيمان (٦١/١، ٦٢) وقال : (صحيح على شرط الشيخين) ووافقه الذهبي ، قال الألباني : (وهو كما قالا) . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة عند رقم (٥١) (٨٠/١) ، وصحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٨٩٣) (٦٣/٣)

(٢) إن الظن يذهب لأول وهلة أن تثبيت الأقدام يسبق النصر . ويكون سبباً فيه ، وهذا صحيح ، ولكن تأخير ذكره في العبارة يوحي بان المقصود من التثبيت هنا معنى آخر من معاني التثبيت هو ما ذكر هنا من التكاليف والله أعلم .

(١) انظر: محاسن التأويل للقاسمي (٣٠٨٦/٥)

(١) وقد اختلف المفسرون في زمن ذلك ، فقال بعضهم : إنه كان منه زمن طفولته . وقال غيرهم : إن ذلك بعد نبوته لتقرير الحجة على قومه باظهار موافقتهم ، أو افتراض صحة أقوالهم ابتداء ثم عرضها على النظر والاستدلال لبيان خطئها وعدم موافقتها للنظر السليم . ونقض الطبرى الرأي الأول فقال : (وتلك حال لا يكون فيها كفر) .

انظر : تفسير أبي السعود (١٥٣/٣) ، فتح القدير للشوكاني (١٣٣/٢) ، تفسير الطبري (٢٥٠/٥) .

(٢) تفسير النسفي مدارك التنزيل (٢٠/٢) .

(١) انظر : تفسير النسفي (١٩/٢-٢١) وتفسير أبي السعود (١٥١/٣-١٥٦) .

(٢) ليست هذه المحاجة الوحيدة بين إبراهيم وقومه ، ولكن قد ذكر الله تعالى محاجة أخرى بينهما في سورة الأنبياء (٥١-٧٠) تمثل صورة أخرى للنصر الفكري بالحجة والبرهان لإبراهيم عليه السلام .

(١) انظر : صحيح مسلم : كتاب الزهد – باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام حديث رقم (٣٠٠٥) (٢٢٩٩/٤) .

(١) تفسير الطبري (٤٧٣/٨) ، رح المعاني للألوسي (١٩٠/٢٣) .

(٢) مثل قوله تعالى (ولُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ) [الأنبياء : ٧٤] وقوله تعالى في تنجيته لوطاً وإبراهيم عليهما السلام : (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) [الأنبياء : ٦٨ – ٧٢] .

وقوله تعالى في شأن هود عليه السلام (فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ) [الأعراف : ٧٢

(١) انظر : مقاييس اللغة لابن فارس ، مادة (غث) ص (٧٦٩) والمفردات للراغب الأصفهاني ، مادة (غثاء) ص (٣٦٠) ، ومفردات القرآن للإمام الفراهي ، مادة (غثاء) ص (٢٢٩) .

(٢) انظر : تفسير القرآن لابن كثير (٤٧٤/٥) ، فتح القدير للشوكاني (٤٨٣/٣) .

(٣) انظر : تفسير أبي السعود (٢٢/٩) ، تفسير النسفي (٢٨٦/٤) ، وتيسير الكريم الرحمن ص (٨١٧) .

(٤) انظر : تفسير الطبري (٥٧٠/٢٣) ، تفسير أبي السعود (٢٢/٩) ، وتفسير النسفي (٢٨٦/٤) .

(٥) انظر : المفردات في غريب القرآن للراغب ص (٣٢٥) ، وتفسير الطبري (٥٧٥/٢٣) ، وتفسير النسفي (٢٨٦/٤) .

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن ص (٦٠٧ – ٦١٠) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب بدر الخلق ، باب ما جاء في قوله (وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ ...) [الفرقان : ٤٨] حديث رقم (٣٠٤٨) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب صلاة الاستسقاء ، باب في ريح الصبا والدبور ، حديث رقم (١٥٤٦) كلاهما عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(١) فتح الباري (٥٢٠/٢) .

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال " ... فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رؤوسهم فأخذ قبضة من التراب فقال : شاهدت الوجوه ثم حصبهم بها فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً " رواه أحمد في مسنده برقم (٢٧٦٢) ورقم (٣٤٨٥) ، وقال الهيثمي في المجمع (٤١٧/٨) : " وراه أحمد بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح " وصححه الألباني في السلسلة برقم (٢٨٢٤) .

(٣) تفسير الجلالين ص (٢٢٩) .

(١) مدّهم كليلاً : أي قوتهم ضعيفة . انظر : شرح صحيح مسلم للنووي (٤٥٧/١٢) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب غزوة حنين ، حديث رقم (١٧٧٥) .

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (٤٥٧/١٢) .

(٤) انظر : تفسير أبي السعود (٧٩/٢) ، الكشاف للزمخشري ص (١٩٣) .

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم (٤٠١/١) وزاد المعاد (٢٢١/٢) .

(١) انظر : فتح الباري لابن حجر (٣١٣/٧) .

(١) أحد رجال الإسناد واسمه : سماك بن الوليد الحنفي ، أبو زميل ، اليمامي ، ثم الكوفي ، ليس به بأس ، من الطبقة الثالثة ، تابعي ، انظر : تقريب التهذيب (٣٩٥/١) .

(٢) رواه مسلم في كتاب الجهاد والسيرباب الإمداد بالملائكة في غزوة في غزوة بدر وإباحة الغنائم حديث (٤٦٨٧) (١٣٨٣/٣) .

(١) من هذه المؤكدات : إخبار الله سبحانه عن النصر للمؤمنين بالجملة الاسمية التي تفيد التوكيد ، وبإضافة الضمير (أنّا) إلى نفسه سبحانه ليفيد أن الناصر لهم هو الله ، وإذ كان كذلك فمن الذي يغلبهم ؟! ، كما أن لام التوكيد في كلمة (لننصر) تقرر حقيقة النصر للمؤمنين . انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور (١٧٠/٢٤) .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٢١/٦) .

(٣) فتح القدير للشوكاني (٥١/٥) .

(١) انظر : الإيمان لابن تيمية ص (٢٦٤) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٧/٦) ، روح المعاني للألوسي (٢٠٤/١٨) .

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٨٠/٦) .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (١٧/٤)

(١) انظر : زهرة التفاسير ، لمحمد أبو زهرة (٤٩٩٠/١)

(١) تفسير الجلالين ص (٦٨١) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص (٧٣٨) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير(١٨/٤) ، تفسير البغوي (معالم التنزيل) (٣٤٠/٥) ، زهرة التفاسير (٣٠٨٦/١) .

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي (٦٧/١١) .

(٢) انظر : المرجع السابق (٧١/١١) ، تفسير الطبري (٦٩/١٩) ، تفسير أبي السعود (٢٢٠/٥) .

(٣) رواه البيهقي في دلائل النبوة ، باب غزوة حنين ، حديث رقم (١٨٧٨) .

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩٣٩/٤) ، وقفات تربوية مع السيرة النبوية ، أحمد فريد ص (٣٥٣) .

(٢) محاسن التأويل للقاسمي (١٦٠/٨) .

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن ص (٤٩٧) ، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ، إعداد : مجموعة من المختصين ، بإشراف : د / صالح بن عبد الله بن حميد (١٢٣٢/٤) .

(٢) انظر : فقه النصر والتمكين في القرآن ، علي محمد الصلابي ص (٢١١) .

(٣) انظر : زهرة التفاسير لأبي زهرة (١١٦٢/١) .

(١) تقوى الله : أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله كما قال ذلك طلق بن حبيب رحمه الله . انظر : مجموعة الرسائل النجدية (٩٩/٤) .

(٢) انظر : تفسير الطبري (٩٣/٣) ، تفسير اللباب لابن عادل (٥٩٤/١) .

(٣) محاسن التأويل للقاسمي (٢٠١/٤) .

(٤) انظر : روح المعاني للألوسي (١٧٥/١٣) ، التفسير الكبير للفخر الرازي (٣٨٣/١٣) .

(١) انظر : تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم) محمد رشيد رضا (١٣٤/٤، ١٣٥) ، زهرة التفاسير (٣١٠٩/١) ، التقوى الدرة المفقودة والغاية المنشودة لأحمد فريد ص (٤١) وما بعدها .

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٧٢/٤) .

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٠٧/٤ – ٢٠٩) .

(٢) اللباب في تفسير الكتاب ، لابن عادل عمر الدمشقي (٥٦٤/٩ – ٥٦٥) بتصرف يسير .

(٢) تتراءى الإساءة في استخدام هذا السلاح ؛ حين يستخدمه المسلم في حالات الشدة وحدها ؛ لأن من واجبه أن يلجأ إلى الله تعالى في السراء والضراء على كل حال .

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب كراهية تمنى لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء ، حديث رقم (٤٦٤٠) .

(٣) رواه الحاكم في مستدركه (٥٤٤/١) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ( ) ١٥١/٦) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١٣/١٥) .

(١) راجع كتب السيرة النبوية مثل : السيرة لابن إسحاق (٦٣/١-٤١١) ، الرحيق المختوم لصيفي الرحمن المباركفوري ص (٢٦٠) وما بعدها ، الرسول القائد لمحمود خطاب ص (١٢١) وبما بعدها ، زاد المعاد لابن القيم (١٧٤/٣) وما بعدها ، وقفات تربوية مع السيرة النبوية ، جمع : أحمد فريد ص (١٨٦ – ٢١١) .

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري ص (٤١٨) ، زهرة التفاسير لأبي زهرة (٣١٧١/١) .

(٣) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي (٢٠٢/٥) .

(١) تفسير المرغي ، أحمد المراغي (٢٥/١٠ ، ٢٦) .

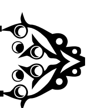
(٢) المدخل إلى القوة والاستراتيجية ، محمد محفوظ ص (١٢) وقد قال : إن هذه الإستراتيجية التي أصبحت اليوم مفتاح الإستراتيجية المعاصرة في القرن العشرين ، هي أولى النظريات الإستراتيجية للحرب في الإسلام منذ أربعة عشر قرناً .

(١) انظر : تفسير الطبري (٢٦١/١١ – ٢٦٢) ، تفسير القرآن العظيم (٨٦/٤-٨٧) ، وتفسير أبي السعود (١١٢/١١١/٣) ، تفسير النسفي مدارك التنزيل (١١٠/٢) .

(١) فتح القدير للشوكاني (٢٦٤/١) .

(٢) فتح القدير للشوكاني (٢٦٤/١) .

(١) انظر : معالم التنزيل للبغوي (٣٦١/١- ٣٦٢) ، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٢٦٢/١ – ٢٦٣) ، زاد المعاد لابن القيم (١٩٦/٣ – ١٩٧) .



(٢) زهرة التفاسير (٤٩٢/٣) .

(١) رواه أبو داود في سننه ، كتاب الملاحم ، باب في تداعي الأمم على الإسلام حديث رقم (٤٢٩٩) و أحمد في مسنده (٢٧٨/٥) ح (٢٢٤٥٠) نحوه ، وابن أبي شيبة في المصنف ، لأبي بكر عبد الله بن أبي شبة (٤٦٣/٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٨١٠/٣) .

(٢) انظر : السيرة النبوية ، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (٢٥/٤-٣٨) ، زاد المعاد (٤٦٥/٣-٤٧٨) .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٤١٣/٣) .

(٣) تفسير النسفي (٨٤/٢) .

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤٤٢/١) .

(١) انظر : اللباب في تفسير الكتاب لابن عادل (٥٩٣/٥) ، التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤٤٤/١) .

(٢) انظر : الدر المنثور ، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي (٣٠٨/٧ -٣٠٩) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم (٥٦٠/٤) .

(٤) انظر : تفسير الطبري (٦/١٨-٧) .

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٣١٣/١٠-٣١٤) ، حديث رقم (١٩٢١٣) . قال ابن حجر في فتح الباري (٢٥٩/١٣) : " رجاله موثوقون إلا أن في مجاله ضعفاً " .

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٨٨/٥-١٨٩) باختصار .

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء ، حديث رقم (٤٨٦٩) .

(٣) قال ﷺ : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) رواه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة ، باب : تشبيك الأصابع في المسجد ، برقم (٤٨١) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب تراحم المؤمنين ، برقم (١٦٧٥٠) .

(١) انظر : زهرة التفاسير لأبي زهرة (٣١٨٥/١) .

(١) انظر : المفردات للراغب الأصفهاني ص (٤٩٧) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام ، باب قوله ﷺ(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق) ، حديث رقم (٧٣١١) واللفظ له ومسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ (لا تزال طائفة من أمتي ظهرين ، حديث رقم (٥٠٦٠) .

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (٥٧/١٣-٥٨) .

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب فضل العلم ، حديث رقم (١٢٣) ، ومسلم في صحيحه كتاب الجهاد ، حديث رقم (٣٦١٥) .

(٢) انظر : متى نصر الله ، عبد العزيز الجليل ، ص (٤٢ ، ٤٥) موقع خطبة الجمعة في المسجد النبوي ، خطبة بعنوان (ألا إن نصر الله قريب) ، للشيخ : عبد الباري الثبيتي .